تيسير العقيدة الصحيحة

لأبى الفضل
عبد السلام بن عبد الكريم





تيسير العقيدة الصحيحة

جمع وإعداد

أبي الفضل

عبد السلام بن عبد الكريم

المكتبة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم



الطبعة الثانية

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

رقم الإيداع: ٧٧٣٥/٢٠٠١

المكتبة الإسلامية

٣٨ ش صعب صالح • عين شمس الشرقية ☏ ٤٩٩١٢٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد للَّه وحده.. أحمده سبحانه ربًّا حميدًا مجيدًا، وإلهًا عليًّا كبيرًا، لا شريك له، ولا ندَّ له، ولا ظهير له، ولا ولد له، ولا صاحبة له، ولا سَمِيَّ له..

..كل شيء هالك إلا وجهه، وكل ملك زائل إلا ملكه، وكل ظل قالص إلا ظله، وكل فضل منقطع إلا فضله.. لن يطاع إلا بإذنه ورحمته، ولن يعصى إلا بعلمه وحكمته.. يُطاع فيشكر، ويُعصى فيغفر.. يقبل القليل من العمل، ويغفر الكثير من الزلل.. كل نقمة منه عدل، وكل نعمة منه فضل:

إن يعذب يكن غرامًا   وإن يُعطِ جزيلاً فإنه لا يبالي

.. عطاؤه كلام، وعذابه كلام: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ [يس: ٨٢].

أحق من عُبد، وأحق من حُمد، وأحق من ذكر، وأولى من شُكر، وأنصر من ابتُغي، وأجود من سُئل، وأرأف من ملك، وأعفى من قدر، وأعدل من انتقم.

..حلمه بعد علمه، وعفوه بعد قدرته، ومغفرته عن عزته، ومنعه عن حكمته، وموالاته عن إحسانه ورحمته:

ما للعباد عليه حقٌّ واجبٌ   إن كلا ولا سَعيٌ لديه ضائعُ

عُذبوا فبعدله أو نُعِّموا   فبفضله وهو الكريم الواسع

.. له الملك والملكوت، وله العزة والجبروت، وله الأسماء الحسنى والنعوت.

.. له الكمالُ في الصفاتِ، وله الصفاتُ في الكمالِ، ذو الكمال والجمال والجلال والإكرام.

.. جلَّ جلاله، وتقدست أسماؤه، وعز جاهه، وعظم سلطانه، وتعالى جدُّه، ولا إله غيره.

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجاثية: ٣٦، ٣٧].

والصلاة والسلام على محمد عبده المصطفى، ونبيه المجتبى، ورسوله المنتقى، خير واسطة بين اللَّه وخلقه، الذي أشرقت به شمس الهداية بعد أُفولها، وأضاءت به سماء التوحيد بعد ظلامها، وظهرت به معالم الحق بعد اندراسها.. وعلى آله وصحبه شموس الضحى، وبدور الدُّجى، ونجوم الهدى، وكل من بهم اقتدى، وبهديهم اهتدى..

وبعد: فهاك - بحمد اللَّه تعالى - رسالة في العقيدة الإسلامية، موجزة، سهلة العبارة، قريبة المأخذ، متسقة منسقة في أبوابها ومباحثها، شاملة - على وجازتها - لجُلِّ مسائل العقيدة الإسلامية، تحرَّيت فيها منهج السلف وطريقتهم التي هي الأسلم والأعلم والأحكم في العقائد والأحكام والسلوك والتفسير وكل أبواب الخير، واقتبستها من كتب الأئمة المهتدين بهدي السلف في القديم والحديث، مجتنبًا طريقة أهل البدع والزيغ والضلال، حريصًا كل الحرص على الجمع بين الجانبين: العلمي والقلبي معًا، دون الاقتصار على الناحية العلمية وحدها، وذلك حتى يخلو البحث من الجمود، وليكون الكلام في

العقيدة مثمراً، مخاطبًا القلب الذي هو محل الإيمان، والعقل الذي هو محل التفكير والاقتناع.

وقد تقدم مني في هذا المقام في الطبعة الأولى للكتاب شكر لصهري الكريم الشيخ عصام بن مرعي على ما تفضل به من ملاحظات نافعة في هذا الكتاب، وقد شاء اللَّه سبحانه أن تخرج الطبعة الثانية للكتاب وقد رحل عنَّا الشيخ الفاضل، وهو وإن كان رحيلاً موجعًا، إلا إنه رحيلٌ شريف، فنحن نحتسبه عند اللَّه، ونسأل اللَّه أن يقبله في خيرة عباده الصالحين، وأن يجعله من الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا اللَّه عليه.

هذا، وأسأل اللَّه العفو الغفور بكرمه ورحمته أن يجعل عملي هذا صالحًا نافعًا، ولوجهه الكريم خالصًا، وأن لا يجعل لأحد من خلقه فيه شيئًا، وأن يجعله ذخرًا ليوم الدين ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]. إنه ولي ذلك والقادر عليه، ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَىٰ وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠].

كاتبه

أبو الفضل

عبد السلام بن محمد بن عبد الكريم

القاهرة ٧ من رمضان المبارك سنة ١٤١٧ هـ

• مدخل •

• العقيدة الحق التي يجب اعتقادها على جميع المسلمين هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي ما كان عليه السلف الصالح، وما يلزم عن ذلك من رد عقائد المبتدعة الضُّلال على اختلاف طوائفهم.

• معنى أهل السنة والجماعة:

«المراد بالسنة: الطريقة التي كان عليها رسول اللَّه ﷺ وأصحابه قبل ظهور البدع والمقالات.

والجماعة: في الأصل: القوم المجتمعون، والمراد بهم هنا: سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين، الذين اجتمعوا على الحق الصريح من كتاب اللَّه تعالى وسنة رسوله ﷺ»[1].

• لماذا عقيدة السلف؟

لأنهم عنوان الفرقة الناجية، ورأس الطائفة المنصورة، وعمود أهل السنة والجماعة، الذين شهد اللَّه لهم بالإيمان، وأسبغ عليهم الرضوان، وبشرهم في حياتهم بالجنان، وأوصى باتباع سبيلهم فقال: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ**﴾ [التوبة: ١٠٠]، ووصفهم النبي ﷺ بأنهم خير القرون، فخيريتهم تشمل العلوم، والأعمال، والعقائد، والأخلاق، وكل أبواب البر والفلاح، فهم الذين خاضوا الامتحان ونجحوا، فمن أراد النجاة فليفعل مثل ما فعلوا، وليس في غير سبيلهم هُدىً، ولا يُعلم أن أحدًا خالفهم فاهتدى، وباللَّه التوفيق.

---

(١) «شرح العقيدة الواسطية» للشيخ خليل هراس (ص١٣).

مراتب دين الإسلام ثلاثة

«الإسلام» و«الإيمان» و«الإحسان»

- وذلك كما بيَّنه حديث جبريل المشهور المروي في «الصحيحين» وغيرهما عن عدد من الصحابة ﷺ بروايات مختلفة في التقديم والتأخير والطول والقصر[1] وفيه عند مسلم وغيره أن جبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان بقصد تعليم المسلمين أمور دينهم، فأجابه ﷺ عن الإسلام بأنه: «**شهادة أن لا إله إلا اللَّه، وأن محمداً رسول اللَّه** ﷺ، **وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً**»، وقال في الإيمان: «**أن تؤمن باللَّه، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**» وقال في الإحسان: «**أن تعبد اللَّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

- أما الإسلام:

فمعناه الاستسلام للَّه بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والسلامة من الشرك، وله حالتان:

الأولى: الإطلاق، فإذا أطلق الإسلام ولم يُذكر معه الإيمان دخل فيه الدين كله بما في ذلك الإيمان الخاص والإحسان الخاص، وكانا مرتبتين من مراتبه، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾ [آل عمران:١٩].

الحالة الثانية: أن يقترن الإيمان بالإسلام في الذكر، فيكون الإسلام حينئذ

(١) ذكر صاحب «معارج القبول» أول الجزء الثاني روايات الحديث على اختلافها وتخريجها من كتب السنة.

هو الانقياد الظاهري من الإقرار باللسان، وعمل الجوارح، وأركانه هي الخمسة المذكورة في حديث جبريل (وهي الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج)[1] .

ويكون الإيمان حينئذ مختصًا بالاعتقاد والتصديق، وأركانه هي الستة المذكورة في حديث جبريل، وهي: (الإيمان باللَّه، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره).

• **وأما الإيمان:**

فهو في اللغة: التصديق، وأما في الشريعة: فله حالتان أيضًا كشأن الإسلام:

الأولى: أن يذكر مفردًا غير مقترن بذكر بالإسلام، فهنا يراد به الدين كله كما هو الشأن في «الإسلام» ولهذا دخل المسلمون جميعًا في كل خطاب فيه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**..﴾.

الحالة الثانية: أن يُذكر الإيمان مقرونًا بالإسلام في سياق واحد، وحينئذ يختص الإيمان بالاعتقادات الباطنة، ويختص الإسلام بالأقوال والأعمال الظاهرة، وهي الحالة الثانية نفسها المختصة بالإسلام.

• {**تنبيه**}:

المعنى الأول هنا هو الذي أراده السلف الصالح في إطلاقهم الإيمان على الاعتقاد والقول، والعمل جميعًا، فلم يقصروه على ما قصره عليه رسول اللَّه

---

(١) أي: إن الإسلام في حالة الاقتران بالإيمان صار مقصوراً على الأحكام الخمسة الظاهرة دون الأحكام الستة الباطنة، بعد أن كان في حالة الانفراد يشمل كلا النوعين: الباطنة والظاهرة.

ﷺ في حديث جبريل من الاعتقادات الستة وحدها، وذلك لأن الإيمان في حديث جبريل ورد مقرونًا بالإسلام في الذكر، وحينئذ لا يزيد الإيمان عن الاعتقاد الباطن، وأما إذا ذكر مفردًا (كما في غير حديث جبريل) فقد قامت الأدلة الكثيرة على دخول الأعمال والأقوال الظاهرة في الإيمان، فليس هذا مخالفة لحديث جبريل، وإنما الصحيح أنهما حالتان: حالة إطلاق، وحالة اقتران، وإنما يتكلم السلف عن الإيمان غالبًا بصورة مفردة فيدخل فيه الإسلام.

وبهذا يجمع بين حديث جبريل الذي فرق بينهما في المعنى، وبين الأحاديث التي أطلقت الإيمان على ما يتضمن معنى الإسلام والعكس.

- وخلاصة القول في الإسلام والإيمان أنهما إذا اجتمعا في الذكر فوردا في سياق واحد افترقا في المعنى، فكان للإسلام ظاهر العمل وللإيمان باطن الاعتقاد، وإذا افترقا في الذكر فجاء كلٌّ منهما في سياق واحد اجتمعا في المعنى، وكان كلٌّ منهما معناه الدين كله ظاهرًا وباطنًا.

ومن هنا قيل: إن اجتمعا افترقا، وإن افترقا اجتمعا[١] .

- **وأما الإحسان:**

فهو كما فسره النبي ﷺ : «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» وهو إذا اجتمع ذكره مع الإيمان فهو درجة أعلى وأرفع من مجرد

(١) فائدة: السلف وإن جعلوا كلاً من الإيمان والإسلام في حالة الانفراد يشمل الدين كله، إلا أن الشائع في كلامهم إيثار لفظة الإيمان إذا تكلموا في هذا الباب، وهذا قد يسبب إشكالاً في الفهم لدى بعض الناس فيظن أنهم يعنون الإيمان الذي هو التصديق والاعتقاد دون القول والعمل، وإنما الصحيح أنهم يعنون الاعتقاد والقول والعمل جميعًا كما تبين.

الإيمان بالأركان الستة، فدرجة الإحسان هي: أعلى مراتب الدين، وأصحابها هم السابقـون المقربون، وللإحـسان درجتـان وهما: الإخـلاص والمشاهدة، وسيأتي بيانهما بعدُ.

● وأكـثر الكلام والاخـتلاف إنما هو في الإيمان والإسـلام دون الإحسـان لوضوحه.

تنبيه: قد تكلمت بتفصيل عن الإيمان واختلاف الطوائف فيه وقواعد مهمة في قضية الحكم على الناس، وذلك في كتاب «منهاج الدعوة السلفية» (الأصل الثالث: الاعتقاد)، وإنما ذكرت هنا ما يناسب المختصر.

* * *

بيان أركان الدين وأصوله
من خلال حديث جبريل في
الإسلام والإيمان والإحسان

وفيما يلي نتكلم عن أركان الدين المستخرجة كلها من حديث جبريل عليه السلام في بيان الإسلام ،والإيمان، والإحسان، متأسيًا في ذلك بما ذكره الإمام ابن رجب من أن هذا الحديث يرجع إليه جميع العلوم والمعارف الدينية من فقه وعقائد وأحوال قلبية[1] ، وبما قاله القاضي عياض من أن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه[2] .

والمقصود أن تحصل لنا بركة موافقة كلام النبي ﷺ في بناء كتابنا على وفق كلامه ﷺ من حيث الترتيب والتقسيم، وقد احتذى هذا المنهج صاحب «معارج القبول» حيث تكلم عن جميع ما تضمنه هذا الحديث، وفيه اختلاف يسير عن ترتيبنا.

وقد تَحَصَّل من هذا الحديث أن الإسلام له خمسة أركان[3] ، والإيمان له ستة أركان[4]، والإحسان له ركنان، فيكون المجموع ثلاثة عشر ركنًا[5] هي

---

(١) أورد صاحب «معارج القبول» نص كلامه على طوله (٢/ ٢٦٢، ٢٦٣) وهو من «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص٥٣) ضمن شرح الحديث الثاني.

(٢) ذكره ابن حجر في «فتح الباري» (١/ ١٥٢).

(٣) كونه يقتصر على الخمسة الظاهرة هو معناه عند الاقتران بالإيمان كما بيناه قبل.

(٤) كون الإيمان هو الأركان الستة الباطنة إنما هو دلالته عند الاقتران بالإسلام كما بينا.

(٥) هذا، وقد بينا أن هذه الأركان الثلاثة عشر يقع عليها جميعًا اسم الإيمان إذا أطلق، إذ معناه حينئذ الدين كله، وكذلك الشأن في الإسلام عند الإطلاق يشمل هذه الأركان كلها ولا يقتصر على الخمسة الظاهرة، وقد فسرنا الإسلام والإيمان هنا بمعناهما الخاص دون العام لأنهما وردا في الحديث في حالة الاقتران فلم يذكر أحدهما منفردًا، وقد التزمنا هنا بنسق الحديث ليكون كلامنا =

أركان الدين كله كما وصفها النبي ﷺ حيث قال بعد أن ولّى السائل: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**».

وكل واحد من هذه الأركان له فروع ومكملات لا تكاد تنحصر، تحتوى على حقائق الدين وأسراره علمًا وعملاً واعتقادًا وآدابًا وسلوكًا وغير ذلك، وإنما أجمل الحديث جوامع الدين الكلية. وسنسرد هنا هذه الأركان ركنًا ركنًا على وجه الإجمال، مع صرف أكثر العناية إلى الاعتقادات الستة، إذ هي الأولى ببحثنا.

* * *

= منضبطًا. وباللَّه التوفيق.

• الركن الأول •

«الشهادتان»

وهما شهادة أن لا إله إله اللَّه، وأن محمداً رسول اللَّه ﷺ .

أولاً: شهادة أن لا إله إلا اللَّه:

• أول أركان الإسلام كما في حديث جبريل، وحديث: «**بني الإسلام على خمس**» وهو في «الصحيحين».

• قال تعالى: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [آل عمران:١٨].

• ومعنى «لا إله إلا اللَّه»: أي: لا معبود بحقٍّ إلا اللَّه، فلا يستحق أحد العبودية ولا يوصف بالألوهية إلا اللَّه، وكل ما يُعبد من دونه أو يعبد معه سبحانه فليس معبودًا بحق، وإنما هو معبود بباطل.

• شروطها ثمانية، يجمعها هذان البيتان:

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقك مع ... محبةٍ وانقيادٍ والقبول لها
وزِيدَ ثامنها الكفران منك بما ... سوى الإله من الأشياء قد أُلِها[1]

---

(١) أورد البيتين العلامة ابن باز ـ رحمه اللَّه ـ انظر: «فتاوي مهمة تتعلق بالعقيدة» (ص٣٠)، وقد شرحها في الموضع المذكور شرحًا موجزًا، كما شرحها كثير من المصنفين في العقيدة، ومن الجدير بالذكر أن نبين هنا أن هذه الشروط أكثرها من أعمال القلوب لا الجوارح، واللَّه وحده هو الذي يتولى السرائر، ولم نؤمر أن نؤاخذ الناس بما في بواطنهم، ولذا فإن المتنطعين من أهل الغلو لا يكتفون بالشهادتين حتى يستوثقوا من هذه الشروط، ولا يسعهم ما وسع النبي ﷺ من اعتبار المتلفظ بالشهادتين مسلمًا دون تفتيش أو تبين!!

- **فضل «لا إله إلا اللَّه»(*) :**

وهذه الكلمة هي مفتاح الخير وجماعه، وركن الدين الأعظم، وكل ما عداها من أركان ينبني عليها، وتسمى كلمة التوحيد، وكلمة الإخلاص.

والشهادة: هي باب الإسلام الأعظم، وهي السبيل الأوحد إلى دخول الجنة والنجاة من النار، لها أُرسلت الرسل، ولأجلها أنزلت الكتب، وفي شأنها تكون السعادة والشقاوة، وبها تؤخذ الكتب باليمين والشمال، ويثقل الميزان أو يخف، وعنها السؤال في القبور، وعليها يكون الحساب يوم النشور، وهي أعظم نعمة أنعم اللَّه بها على عباده ولهذا ذكرها اللَّه في صدر سورة النحل التي هي سورة النعم وقدمها على كل نعمة فقال سبحانه: ﴿**يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ**﴾ [النحل: ٢].

ومن أسمائها وأوصافها في كتاب اللَّه أنها: «العروة الوثقى»، و«دعوة الحق»، و«القول الثابت»، و«الكلمة الطيبة»، و«كلمة التقوى»، و«المثل الأعلى»، وهي «الحق»، و«العهد»، و«الحسنة»، و«الحسنى».

وهي أعلى شعب الإيمان، وأثقل شيء في الميزان، وأفضل ما ذُكر به الرحمن.

وسيأتي بيان أنواع التوحيد وبيان الشرك الذي هو ضد التوحيد، وصوره عند الكلام عن الركن الأول من أركان الإيمان بمشيئة اللَّه[1] .

(*) مستفاد أكثره من «الثمرات الزكية» (٩٧ ـ ٩٩).

(١) وهو ركن «الإيمان باللَّه»، وهو الركن السادس بحسب الترتيب الذي انتهجناه هنا.

ثانيًا: شهادة أن محمدًا رسول اللَّه ﷺ :

- هذه الشهادة الثانية لا بد أن تقترن بالأولى، إذ هما معًا ركن واحد، ولذا قرن بينهما في التشهد والأذان وغير ذلك، فمن شهد بالأولى ولم يشهد بالثانية فليس بمسلم.

- وفي حديث جبريل: «**أن تشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأن محمدًا رسول اللَّه..**»، وكذلك وردت في حديث: «**بني الإسلام على خمس**».

- ويراد بهذه الشهادة: التصديق الجازم المواطئ لقول اللسان بأن محمدًا عبده ورسوله ﷺ إلى الناس كافة: إنسهم وجنّهم، فيجب تصديقه في كل ما أخبر به وشرعه، والانقياد له في كل ما أمر به أو نهى عنه ﷺ، عن رضًا وتسليم، مع اليقين أن طاعته طاعة للَّه، ومعصيته معصية للَّه، وأنه أكمل الدين فلا يزاد بعده ولا ينقص[1].

* * *

(١) «٢٠٠ سؤال في العقيدة» (ص٩) بإيجاز.

• الركن الثاني •

«إقامة الصلاة»

• الصلاة: هي ثاني أركان الإسلام، ولا يقدم عليها شيء بعد الشهادتين، كما بينه حديث جبريل وغيره، والأدلة على فرضيتها وعظيم قدرها لا تنحصر[1].

• ولما كانت الصلاة أعظم الأعمال بعد التوحيد؛ وقع الخلاف في تاركها تكاسلاً[2] هل يكفر أم لا؟[3]، ولا يتسع المقام لبسط الكلام في هذه القضية، ولذا نرجئه لمقام آخر.

• وقد فصلت السنة هيئاتها، وأوقاتها، وفرائضها، وسننها، وجميع أحكامها، كما هو مبين في كتب الفقه.



---

(١) انظر في بيان ذلك كتاب «الصلاة» لمحمد بن نصر المروزي، و«الصلاة» لابن القيم، و«الصلاة» لحسين العوايشة.

(٢) وذلك مع إجماعهم على أن تاركها جحوداً أو استكباراً خارج عن ملة الإسلام.

(٣) والذين لم يكفروه متفقون على أنها كبيرة من أكبر الكبائر، فهو أعظم جرماً من القاتل والزاني والسارق وشارب الخمر.

• الركن الثالث •

«إيتاء الزكاة»

- ثالث أركان الإسلام لحديث جبريل وغيره.

- ولعظم قدرها كثيرًا ما تقرن بالصلاة في كتاب اللَّه، قال تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ وذلك في غير موضع من كتاب اللَّه، ومما جاء فيها على صورة الانفراد قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٤]، وقد ورد الوعيد الشديد على من ترك أداءها، وهي من مفاتح الخير وجوامع الإسلام.

- وقد بينت السنة فرضها، ونفلها، وأنواعها، وأنصبتها، وشروطها، وعلى من تجب، وفيم تجب، ومتى تجب، وغير ذلك من أحكام محلها كتب الفقه.



• الركن الرابع •

« صوم رمضان »

- رابع أركان الإسلام كما في حديث جبريل وغيره.

- قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ١٨٣].

- والنصوص في فضل الصوم، وفرضه، ونفله كثيرة، فهو من أعظم أبواب البر، وقد بينت كتب الفقه أحكامه.



• الركن الخامس •

«حج البيت»

• خامس مباني الإسلام وأركانه، لحديث جبريل وغيره، وفرض معلوم من الدين بالضرورة، والنصوص في فضله كثيرة: كقوله ﷺ : «**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**» متفق عليه، وغير ذلك.

• وهو واجب على المستطيع، قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾ الآية [آل عمران: ٩٧].

• تعريفه: هو قصد مكة لأداء عبادة الطواف، والسعي، والوقوف بعرفة، وسائر المناسك، استجابة لأمر اللَّه، وابتغاء مرضاته.

• وهو يجب مرة واحدة في العمر كما صحت بذلك الأخبار، وأجمع عليه العلماء، ومحل تفصيل أحكامه ومسائله: كتب الفقه.



• الركن السادس •

«الإيمان بالله»

• هذا هو الركن الأول من أركـان الإيمان التي هي أركان الدِّين البـاطنة، وأما الأركـان الخمسـة السابقة فـهي أركان الدين الظاهرة، وهي المسـماة في حديث جبريل «الإسلام».

• والإيمان باللَّه هو التصديق الجازم من صميم القلب بوجود ذاته تعالى، وتوحيده بألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته، فهنا أربعة أمور:

[١] الإيمان بوجوده تعالى:

• وقد دل على وجوده تعالى: الفطرة، والعقل، والشرع، والحس:

• أما دلالـة الفطرة: فإن كل مـخلوق قد فُطر على ذلك مـن غير سـبق تفكير أو تعليم.

• وأما دلالة العـقل على وجوده تعـالى: فلأن المخلوقـات لا بد لها من خالق، إذ لا يمكن أن تُوجِد نفسها، ولا يمكن أن توجَد صدفة.

• وأما دلالة الشرع: فلأن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك.

• وأما الحس فمن وجهين:

أحدهما: ما نسمعـه ونشاهده من إجابة الداعين، وإغاثة المكروبين بل كلٍّ مضطر ولو كان من الكافرين، مما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى.

الثاني: مـعجـزات الأنبياء التي أدركـها الناس بحـسهم، وآخـرها القرآن

الكريم الذي ما نزال نتلوه باللسان، ونسمعه بالآذان، ونعيه بالجنان، وهو الحق المبين الذي لم يأت به إنسان، فهو من أعظم ما يدل على وجود ربنا الرحمن عز وجل.

[٢] الإيمان بربوبيته تعالى:

● وهو ما يسمى توحيد الربوبية، وهو الإقرار الجازم بأن اللَّه وحده هو رب كل شيء ومليكه، الذي يدبره ويتصرف فيه، لا شريك له في ذلك ولا معين، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، والأدلة على ذلك كثيرة جدًّا.

● ومن أجمع ما قيل في توحيد الربوبية أنه: «توحيد اللَّه بأفعاله تعالى».

● وتوحيد الربوبية هو متعلَّق القضاء والقدر؛ لأن الرب هو الذي يقضي ويقدر: فكلما كان العبد أتم تسليمًا للقدر كان أمكن في هذا النوع من التوحيد.

● وكذلك فإن توحيد الربوبية هو مفتاح الاستعانة والدعاء والتوكل والتفويض، فهو حقيقة ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، ولذا كان الدعاء بلفظ «ربنا» هو الغالب[1].

● وأكثر أصناف المشركين يقرون بربوبيته تعالى باستثناء «الدهرية» و«الثنوية».

---

(١) مستفاد عن شيخ الإسلام ابن تيمية: وانظر في ذلك «المجموع» (١٠/ ٢٨٣ ـ ٢٨٦)، (١/ ٨٩ ـ ٩١).

• **ثمرة توحيد الربوبية:**

الإيمان بالقضاء والقدر، وحسن التوكل والاستعانة، وتمام الثقة في اللَّه سبحانه، وقوة النفس لقوة مستندها، وحصول العون والتمكين في أمر الدنيا والدين.

[٣] الإيمان بألوهيته سبحانه:

• وهو توحيد الألوهية: وهو إفراد اللَّه عز وجل بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، ونفي العبادة عن كل ما سواه. وهو المقصود بلا إله إلا اللَّه، وأصل دعوة الرسل صلوات اللَّه عليهم وسلامه، والأدلة عليه لا تحصى.

• ومن أجمع ما قيل فيه أنه: «توحيد اللَّه بأفعالنا»، أي: بعباداتنا.

• وتوحيد الألوهية هو متعلَّق الأمر والنهي، لأن الإله هو المعبود والعبادة لا تكون إلا بأمر ونهي، وذلك كما أن الربوبية هي متعلق القضاء والقدر كما بينا، ولهذا كان جماع الدين هو: فعل المأمور وترك المحظور، والصبر على المقدور، وهذا مقتضى الألوهية والربوبية جميعًا.

• وتوحيد الألوهية هو مفتاح العبودية، والتقرب إلى اللَّه بما يحبه ويرضاه رغبًا ورهبًا. فهو أمر ونهي ومحبة وخوف ورجاء[1] .

• **ثمرة توحيد الألوهية:**

تحقيق العبودية التي خلق اللَّه الخلق لها، وتحقيق السعادة القلبية والبدنية

---

(١) مستفاد عن شيخ الإسلام (المواضع السابقة نفسها).

في الدنيا والآخرة، لأن التوحيد هو أصل النعيم، ومفتاح دعوة الرسل.

[٤] الإيمان بأسمائه تعالى وصفاته:

• هو الإيمان بأسماء اللَّه تعالى الثابتة في الكتاب والسنة دون (إلحاد) فيها، و«الإيمان بما وصف اللَّه به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، من غير (تحريف) ولا (تعطيل)، ومن غير (تكييف)، ولا (تمثيل)»[1].

شرح التعريف:

الكلام هنا عن الأسماء والصفات:

أما الأسماء: فالإيمان بها يكون بالإيمان بكل ما ثبت في الكتاب والسنة مما علمناه، والإيمان بما استأثر اللَّه بعلمه على الوجه الذي يعلمه سبحانه، دون إلحاد في أسمائه تعالى، قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والإلحاد في اللغة: هو مصدر «ألحد»، و«ألحد في الدين» أي: حاد عنه، ومال عنه، ومثله: «لَحَدَ».

ومعنى الإلحاد في أسماء اللَّه تعالى[2]: هو الميل بها عما يجب فيها، وهو أنواع:

الأول: إنكار شيء من الأسماء، أو مما تضمنته الأسماء من الصفات

(١) ما بين علامتي التنصيص منقول من «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام بشرح الشيخ هراس (ص١٦).

(٢) معنى الإلحاد وأنواعه منقول بإيجاز وتصرف عن «القواعد المثلى في صفات اللَّه وأسمائه الحسنى» للعلامة ابن عثيمين (ص٦).

والأحكام، كما فعل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم[1].

الثاني: تشبيه الصفات التي دلت عليها الأسماء بصفات المخلوقين، كما فعل أهل التشبيه[1].

الثالث: تسمية اللَّه تعالى بما لم يُسَمِّ به نفسه، كما تسميه الفلاسفة: «العلة الفاعلة»، ونحو ذلك، لأن أسماء اللَّه توقيفية كما سنبينه بعد.

الرابع: أن يُشتقَّ من أسمائه أسماء للأصنام، كما فعل المشركون في اشتقاق «العُزَّى» من العزيز، و«اللات» من الإله (في أحد القولين)، وهذا الأنواع كلها إلحاد في أسمائه سبحانه؛ لأن أصحابها مالوا بها عما أوجبه اللَّه فيها.

وأما الصفات: فالكلام فيها يتبين ببيان المصطلحات الأربعة المذكورة في التعريف وهي: («التحريف»، و«التعطيل»، و«التكييف»، و«التمثيل»):

- فأما (التحريف): فهو نوعان:

(١) تحريف اللفظ: إما بالزيادة أو النقصان، أو تغيير حركة، كقول أهل الضلال في قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه: ٥]، أي: استولى، فزادوا حرفًا، وقراءتهم: ﴿**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا**﴾ [النساء: ١٦٤] بنصب لفظ الجلالة ليجعلوا المتكلم هو موسى وليس اللَّه.

(٢) تحريف المعنى: كقول أهل الضلال: إن معنى الغضب الذي يوصف به اللَّه هو إرادة الانتقام، دون أن يثبتوا غضبه سبحانه على حقيقته، فيعدلون

---

(١) سيأتي بعد قليل تفصيل الكلام عن أهل التعطيل وأهل التشبيه.

به عن معناه، وجعلهم «لن» مؤبدة في قوله تعالى: ﴿لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف:١٤٣] لينفوا رؤية اللَّه في الآخرة.

- وأما (التعطيل):

فهو لغة: الإخلاء، والمراد هنا: نفي صفات اللَّه عن اللَّه، والفرق بينه وبين التحريف أن التحريف نفي لفظ أو معنى صحيح وإحلال معنى أو لفظ فاسد، وأما التعطيل فهو نفي الصحيح دون إحلال غيره، فكلُّ مُحَرِّفٍ مُعَطِّلٌ وليس كلُّ مُعَطِّلٍ مُحَرِّفًا.

- وأما (التكييف):

فهو تعيين كيفية الصفة دون أن يقيِّدها بمماثل، وهذا محال في حق اللَّه، لأن العباد لا يحيطون علمًا بذاته، فكذلك صفاته سبحانه.

- وأما (التمثيل):

فهو تشبيه صفات اللَّه بصفات خلقه، كأن يقال: يد اللَّه كأيدينا، وسمعه كسمعنا، تعالى اللَّه عن ذلك، فإنه سبحانه كما وصف نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١][١] .

- ومن هذه المصطلحات الأربعة الأخيرة (التكييف والتمثيل والتحريف والتعطيل) نتعرف على طرق أهل الضلال والانحراف من هذه الأمة في باب الصفات[٢] ، وهم نوعان:

الأول: أهل «التكييف»، و«التمثيل»: ويسمَّون المشبِّهة أيضًا وهم

(١) شرح التعريف مختصر بتصرف من شرح الفوزان على الواسطية (١٣، ١٤).

(٢) أما طرق أهل الضلال في أسماء اللَّه فقد بيناها في الكلام عن معنى الإلحاد.

على درجتين:

(١) المجسمة: الذين يثبتون للَّه تعالى الجسم، وإن كان منهم من يقول: جسم لا كالأجسام، وهؤلاء مبطلون لأن هذا لم يجئ به نص، وهو غُلُوٌّ في إثبات الصفات، فإن كل صفة كاليد والسمع والاستواء نثبتها في ذاتها مع نفي المثلية، ثم لا يجوز أن نزيد نحن من عند أنفسنا أن ذلك يقتضي جسميته.

(٢) المشبهة: وهؤلاء أشد من الأولين؛ لأن هؤلاء يجعلون اللَّه مشابهًا لخلقه أو مماثلاً لهم، وهذا إلحاد في أسمائه سبحانه، ونفي لكماله وتنزهه، ومضادَّة لما وصف به نفسه من أنه تعالى ليس كمثله شيء.

وكلا الطائفتين يطلق عليها مشبهة تغليبًا، وإن كانت الثانية أشد غُلُوًّا من الأولى، مع أن الأولى يَؤول أمرها إلى التشبيه[1].

والأدلة على بطلان هذين القولين من أظهر ما يكون، ولولا الاختصار لأطلنا الحجاج والاستدلال.

النوع الثاني من الضُّلال في هذا الباب: أهل التحريف والتعطيل، وهم على درجتين:

(١) أهل التعطيل المحض: وهم الجهمية والمعتزلة ومن قال بقولهما ممن ينفون الصفات تمامًا زعمًا أن إثباتها ضد التنزيه، وهم متفاوتون ومضطربون،

---

(١) وذلك لأن أهل التجسيم ما انتهوا إلى القول بالجسمية إلا بعد قياس اللَّه بخلقه على سبيل التشبيه، إذ رأوا أن السمع والبصر واليد والوجه وغير ذلك لا يعهد إلا جسمًا، فأطلقوا أنه سبحانه جسم، وما كان لهم أن يستنتجوا ذلك، لأن اللَّه مع إثباته لكل هذه الصفات نَفَى المثلية والكيف، وأما القول بالجسمية فهو مضادٌّ لنفي المثلية.

والجهمية عمومًا أشد غلوًّا من المعتزلة، وإن كان كثير من المعتزلة جهمية في حقيقتهم.

(٢) **أهل التحريف**: وهم المؤولة من الأشاعرة والماتُرِيدية ومن قال بقولهما، ويسمَّون أهل الإثبات لكونهم يثبتون بعض الصفات[١] التي لا يثبتها المعتزلة والجهمية، ولكنهم ينفون كثيرًا من الصفات التي أثبتها اللَّه لنفسه، وأثبتها له رسوله ﷺ ،وهي الصفات الإضافية، وإن كانوا يغطون هذا النفي بما يسمونه تأويلاً، وما هذا التأويل إلا مطية التعطيل، لأنك مهما وضعت من معنى بدلاً من المعنى الذي أراده اللَّه لنفسه بالصفة فإنك لن تخرج عن التعطيل وإن سميته تأويلاً، لأن الذي أراده اللَّه نفيته أنت، فلن ينفعك إثبات ما فهمته أنت من النص. وقد جعلوا هذا قانونًا، فقال صاحب «الجوهرة»:

وكل نَصٍّ أوهَمَ التشبيها ... أوِّله أو فَوِّض ورُم تنزيها

فنسبوا كلام اللَّه تعالى وكلام رسوله ﷺ إلى إيهام التشبيه! وحاشاه!!

ومن الصفات الإضافية التي يؤولونها: «العلو»، و«الاستواء»، و«النزول»، و«الوجه»، و«اليد»، و«القبضة»، وغير ذلك: فيقولون: «الاستواء» هو الاستيلاء، و«النزول» هو نزول الملك وليس اللَّه ذاته، و«اليد» عندهم هي القدرة... وهكذا، وهم متفاوتون في حالهم من التأويل فبعضهم أكثر إسرافًا من بعض.

• وكل هذه الطوائف المنحرفة ليس لهم من ذلك ضابط إلا عقولهم، وإلا فلو رجعوا إلى ما أنزل اللَّه لوجدوا أن اللَّه عز وجل يقول: ﴿لَيْسَ

(١) وهي الصفات السبع التي تسمى صفات المعاني، وهي: «الحياة»، و«الإرادة»، و«القدرة»، و«العلم»، و«السمع»، و«البصر»، و«الكلام».

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فأثبت لنفسه صفتي السمع والبصر ونفَى المثلية، فكل صفاته ليس كمثله فيها أحد وهي على الوجه اللائق به الذي لا يعلمه إلا هو، ولهذا كان السلف يفوضون الكيفية ولا يفوضون المعنى، ومن هنا جاءت قولة الإمام مالك المشهورة حين سئل عن الاستواء فقال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقولٌ، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعًا» فأمر به أن يخرج. فقوله: «الاستواء غير مجهول» أي: أن معناه معقول لا نجهله ولا نفوضه، وأما الذي نفوضه ولا نعقله فهو الكيفية، ففرق ـ رحمه اللّه ـ بين «الكيف»، و«المعنى».

وهذه الكلمة للإمام مالك قد تلقاها علماء السلف بالقبول، وهي عنوان عقيدة السلف في الصفات، والأدلة في هذا الباب أكثر من أن تحصى، فإن الكلام في الصفات من أوسع أبواب العقيدة، ولولا ضيق المقام لذكرت الأدلة، وبسطت الحجج، ودفعت الشبهات[1] . وباللّه التوفيق.

* * *

(١) وقد بسطت الأدلة على أن منهج الحق في الصفات هو ما عليه السلف وأنه لا يجوز غيره بحال، وناقشت شبهات المخالفين لمن أراد الاستزادة ـ في كتاب «العقيدة السلفية في الصفات الإلهية» وأرجو أن ينشر قريبًا بعون اللّه تعالى.

فصل [١]

من قواعد الإيمان بالأسماء والصفات(*)

• **القاعدة الأولى: «أسماء اللَّه كلها حسنى»:**

قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ**﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ومعنى الحسنى: أي التي هي أحسن وأكمل من كل ما سواها بحيث لا يدرك العبد منتهى حسنها، ولا يعلم ذلك إلا اللَّه وحده.

• **القاعدة الثانية: «صفات اللَّه كلها صفات كمال»:**

كما أن أسماءه تعالى كلها حسنى فكذلك صفاته تعالى كلها كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، قال تعالى: ﴿**لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [النحل: ٦٠]، والمثل الأعلى: هو الوصف الأعلى، وهو المراد بالكمال. وكل صفات النقص ممتنعة في حقه سبحانه، قال تعالى: ﴿**سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ [الصافات: ١٨٠] فنزه نفسه عن كل نقص يصفونه به.

• **القاعدة الثالثة: «أسماء اللَّه أوصاف وأعلام»:**

وذلك أن كل اسم من أسمائه تعالى يتضمن شيئين: أحدهما: دلالته على المسمى، وهو اللَّه تعالى، والثاني: دلالته على صفة من صفات المُسَمَّى، وهي المعنى الذي دل عليه الاسم، فالدلالة الأولى هي معنى كون أسمائه

(*) مستفاد أكثره من كتاب «القواعد المثلى في صفات اللَّه وأسمائه الحسنى» للعلامة ابن العثيمين ـ رحمه اللَّه ـ وهو من خير ما ألف في بابه وأعظمه بركة ونفعًا.

تعالى أعلامًا، والدلالة الثانية؛ هي معنى كونها أوصافًا.

ثم الأسماء باعتبارها أعلامًا هي متـرادفة غير متباينة، وذلك لدلالتها على مُسمى واحد وهو اللَّه تعالى، وأما باعتبارها أوصافًا قائمة بالمسمى فهي كثيرة متباينة، فمثلاً أسمـائه تعالى: «العليم»، و«الحكيم»، و«العزيز» هي باعتبارها أعلامًا لا تختلف مدلولاتها لأنها تُدل على مسمى واحد وهو اللَّه عز وجل، وأما باعتبارها أوصافًا فمعانيهـا مختلفة، لأن صفة «العلم» غير «الحكمة» غير «العزة».

- **القاعدة الرابعة: «باب الصفات أوسع من باب الأسماء»:**

وذلك لأن كل اسم متضمن لصفة كما بينتـه القاعدة السابقة وأما الصفات فقـد تأتي في غيـر صيغ الأسمـاء، إذ من الصفات مـا يتعلق بأفـعال اللَّه، وأفـعاله تعـالى لا منتـهى لها، ومن أمـثلة ذلك: صـفة «المجيء» في قـوله تعالى: ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ**﴾ [الفجر: ٢٢]، وصفة «الأخذ» في قوله تعالى: ﴿**فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ**﴾ [آل عمران: ١١]، وصفة «البطش» في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ**﴾ [البروج: ١٢] وغير ذلك من الصفات المتعلقة بفعله تعالى، فهنا علينا أن نثبت الصفة للَّه، ولكن لا يجوز تسميته بها، فلا يجوز أن نسميه الجائي (من المجيء) والآخذ والبـاطش، لأنه ليس كل ما وصـف اللَّه به نفسـه سمَّى به نفسه. فيفرق بين ما هو اسم وصفة، وما هو صفة وليس اسمًا.

- **القاعدة الخامسة: «أسماء اللَّه وأوصافه توقيفية»:**

ومعـنى توقيـفيـة: أي: لا مجـال للعقل فـيهـا، وإنما تثبت بالنـصوص فحـسب، ولهذا وجب الوقـوف على ما جـاء به الكتاب والسنة من أسـمائه تعالى وصـفاته دون زيادة أو نقصان، وذلك لأنـه لا يعلم باللَّه إلا اللَّه، فلا

يعلم العبد اسمًا من أسمائه تعالى أو صفة من صفاته إلا بتعليم اللَّه إياه. في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ.

• **القاعدة السادسة: «أسماء اللَّه تعالى غير محصورة»:**

ومما يدل على ذلك قوله ﷺ: «**أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك..**» الحديث[1]؛ لأن ما استأثر اللَّه بعلمه لا يستطيع أحد حصره.

وأما قوله ﷺ في الحديث المتفق عليه: «**للَّه تسعة وتسعون اسمًا من حفظها دخل الجنة**» الحديث، فهذا لا يفيد أنها محصورة بهذا العدد، فالمعنى: أن هذا العدد من شأن من حفظه أن يدخل الجنة، ونظير ذلك أن تقول: عندي مئة درهم أعددتها للصدقة، فلا يمنع أن يكون عندك دراهم أخرى لم تعدَّها للصدقة، وكذلك فلا يمنع الحديث أن للَّه أسماءً أخرى لا يشترط حفظها لدخول الجنة، ولم يصح عن النبي ﷺ تعيين هذه الأسماء التسعة والتسعين، والحديث المروي فيها ضعيف كما ذكر الإمام ابن حجر وغيره[2].

• **القاعدة السابعة: «صفات اللَّه نوعان: ثبوتية وسلبية»:**

ـ **أما الثبوتية**: فهي ما أثبته اللَّه لنفسه أو أثبته رسوله ﷺ، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه: كالحياة، والعلم، والقدرة،

---

(١) جزء من حديث رواه أحمد، والحاكم، وابن حبان، وصححه ابن القيم، والشيخ أحمد شاكر، والألباني، والأرناءوط («القواعد المثلى» حاشية المحقق ص ١٧).

(٢) وقد ذكر العلامة ابن عثيمين (ص١٩) تسعة وتسعين اسمًا جمعها من نصوص الكتاب السنة، ولولا الإيجاز لأوردتها هنا.

والاستواء على العرش. . . ونحو ذلك.

- **والصفـات السلبـية**: هي ما نفاها اللَّه عن نفسه، أو نفاها عنه رسوله ﷺ، وكلها صفات نقص في حقه: كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب، فيجب مع نفي الصفـات السلبية إثبات ضدها على الوجه الأكمل، فإن مـا نفاه اللَّه عن نفسـه يراد به ثبوت ضده لا مجـرد نفيه، لأن النفي ليس بكمال إلا أن يتـضمن ما يدل على الكمال، فـقوله تعالى: ﴿**وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾ [الكهف: ٤٩] نفي الظلم يتضمن كمال عدله.

- القاعدة الثامنة: «**الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال**»:

فكلما كثرت الصفات الثبوتية وتنوعت دلالتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر، ولهذا كـانت الصفات الثبوتية التي أخبر اللَّه بهـا عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبيـة كما هو معلوم، ولهذا جاءت الرسل صلوات اللَّه عليهم في باب الصفات بإثبات مفصَّل (وهو المتعلق بالصفات الثبوتية)، ونفي مُجـمل (وهو المتـعلق بالصفـات السلبيـة) والملاحدة بالعكس: يُجـملون في الإثبات ويُفَصِّلون في النفي إذ الغـالب عليهم السلب، يقولون: ليس بكذا، ليس بكذا، ليس بكذا[1].

- القاعدة التاسعة: «**الضلال في الأسماء هو الإلحاد فيها**»:

الإلحاد في أسماء اللَّه تعالى هو: الميل بها عما يجب فيها. وقد سبق بيان ذلك بتفصيل في مطلع الكلام في الصفات.

(١) انظر في الكلام عن الإثبـات المفصـل والنفي المجمل «مـجمـوع الفتـاوى» (٦/ ٥١٥ ـ ٥١٧)، (١٦/ ٣٧)، (٢٠/ ١٢٦، ١٢٧).

• **القاعدة العاشرة: «الضلال في الصفات هو التعطيل والتمثيل»:**

يلزم في إثبات الصفات أن نؤمن بالصفة ومعناها، وننفي العلم بالمثلية، فيكون إثباتًا بلا تمثيل، ونفيًا بلا تعطيل، لقوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى:١١] فأثبت سبحانه الصفة: ﴿**السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ ونفى المثلية: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾، فلم يكن إثبات الصفة إثباتًا للمثلية كما فعلت المشبهة، ولم يكن نفي المثلية نفيًا للصفة كما فعلت المعطلة، وقد سبق بيان ذلك بتفصيل في شرح المصطلحات الأربعة: (التكييف والتمثيل والتحريف والتعطيل)، وذلك لأنه أخطر مزلق في باب الإيمان بالأسماء والصفات، وعليه افترقت طرق الضلال ما بين جهمية وكرامية وأشاعرة وماتريدية وغير ذلك، وإنما أوجزته هنا لتكملة بناء القواعد التي عليها أهل السنة في باب الصفات، والحمد لله وحده.

* * *

فصل [٢]

من متعلقات الإيمان بالصفات

العرش والكرسي(*)

● مما يتعلق بتوحيد الأسماء والصفات: الإيمان بأن العرش والكرسي حق، وأن اللَّه تعالى استوى على عرشه فوق سمواته، وأن كرسيه وسع السموات والأرض، قال تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج:١٥]، وقال سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥]، وقال في الكرسي: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ [البقرة:٢٥٥] مما سبقها.

● أما «العرش»: فهو في اللغة: السرير الذي للملك. وهو عند أهل السنة: حق ثابت للَّه تعالى، لا يقدر قدره إلا اللَّه وحده، ولا نقول: إنه يقتضي تشبيهًا وتجسيمًا كما يقول المبتدعة، بل نثبت للَّه ما أثبته لنفسه دون زيادة أو نقص، ولا نؤوله كما تؤوله المعطلة فيقولون: العرش معناه المُلك، فماذا يقولون في قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٧] أفيقولون: ويحمل مُلك ربك يومئذ ثمانية؟! هذا محال!

● ومما صح في صفة العرش:

- أنه على الماء، قال تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود:٧].

- وأنه فوق الفردوس التي هي أعلى الجنة ووسطها، كما ورد في «الصحيحين».

(*) مستفاد من «شرح الطحاوية» (٢٧٧ - ٢٨١).

ـ وأنه ذو قوائم، لما ثبت في «الصحيحين» أن النبي ﷺ قال: «**فإن الناس يُصعقون، فأكون أول من يُفيق، فإذا أنا بموسى آخذًا بقائمةٍ من قوائم العرش**» الحديث.

ـ وأن العرش تحمله ملائكة كرام، قال سبحانه: ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ**﴾ [غافر: ٧].

● **وأما الكرسي**: ففيه أقوال: قيل هو العرش، وقيل: الكرسي غير العرش، ورجحه شارح «الطحاوية» والإمام ابن كثير، فقد ورد عن ابن عباس أن الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا اللَّه تعالى، وقال السدي: السموات والأرض في جوف الكرسي بين يدي العرش، وقال غير واحد من السلف في الكرسي: هو بين يدي العرش كالمرقاة إليه.

● هذا، ومع ثبوت العرش والكرسي وحملة العرش إلا أن اللَّه عز وجل كما يقول الإمام الطحاوي: «هو مستغنٍ عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه».

* * *

فصل [٣]

معاني بعض أسمائه سبحانه وصفاته

التفكر في أسماء اللَّه سبحانه وصفاته من أعظم مجامع الإيمان ومفاتح اليقين في ربوبيته سبحانه وألوهيته؛ والعبد تُرفع درجته بحسب معرفته بربه، ويُفتح له من الخير بمقدار علمه بأجل المعلومات وهي أسماء اللَّه وصفاته، التي يعرف بها من صفات كماله ونعوت جلاله ما يهبه اللَّه من يشاء من عباده.

وسنورد هنا بعض أمثلة بما يسمح به المقام، لنذوق شيئًا ولو يسيرًا من حلاوة الإيمان بأسمائه سبحانه وصفاته[١].

[الحي القيوم]:

(الحي) إن حياة اللَّه تعالى كاملة دائمة لا يقطعها موت، ولا يعوقها مرض ولا تعب ولا نصب، ولا يعتريها نقص أبدًا، ولا يشابهه فيها مخلوق، وحياته سبحانه أصل الحيوات، وسبب وجود المخلوقات.

(القيوم) القائم بنفسه، الغني عن غيره، المقيم لخلقه، القائم على كل نفس بما كسبت، المحتاج إليه كل من سواه.

---

(١) وللتفصيل والاستزادة: راجع: «موارد الظمآن في محبة الرحمن» للشيخ سيد حسين العفاني، ففيه بحوث رائعة في الكلام عن جميل صفات اللَّه التي توجب محبته، وراجع أيضًا: مقدمة «معارج القبول» فقد صدَّرها المؤلف بمطلع جليل في الكلام عن صفاته سبحانه في إيجاز واستقصاء وجمال، وفي كتب الإمام ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ عناية عظيمة ببيان معاني أسمائه سبحانه وصفاته، وآثارها الإيمانية، بل هو من أجل من كتب في ذلك ـ رحمه اللَّه.

● ومن تمام حياته سبحانه وقيوميته أنه لا يموت، وكل حي يموت، وأنه **«لاينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل، وعمل الليل قبل عمل النهار، حجابه النور أو النار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»**(١) .

[العليم]:

يعلم ما دقَّ وما جلَّ، ولا يعزب عنه شيء، ولا تشتبه عليه المعلومات، ولا يعتريه نسيان، أحاط علمًا بجميع خلقه: إنسًا وجنًّا وملائكة ودوابًّا وجبالاً ونجومًا وأنهارًا، وما في البر والبحر يعلمه، وكل حبة في ظلمات الأرض، والرطب واليابس، وما علمنا اسمه وما لم نعلمه، يعلم أنفاس خلقه وحركاتهم وسكناتهم وأرزاقهم وآجالهم وأهل الجنة وأهل النار، الغيب عنده شهادة، والسر عنده علانية، يعلم ما كان بلا مبتدا، وما سيكون بلا منتهى، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون.

[السميع]:

يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات في جميع الأوقات، ولا يشغله سمع عن سمع، ولا جهر عن سر، ولا تغلطه كثرة المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين.

[البصير]:

وسع بصره جميع المُبصرات، لا يغيب عنه شيء، فيرى دبيب النملة

---

(١) ما بين القوسين نص حديث عن النبي ﷺ رواه البخاري ومسلم.

السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويرى من البعوضة كل دقائقها مع صغر حجمها وهوان أمرها:

يا من يرى مَدَّ البعوض جناحه في ظلمة الليل البهيم الأليلِ
ويرى نياط عروقها في نحرها والمخ في تلك العظام النُّحَّلِ

وهو على إبصاره بكل مخلوق فإنه لا يحيط به بصر مخلوق: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام:١٠٣].

[**الجميل**]:

قال ﷺ: «**إن اللَّه جميل يحب الجمال**» رواه مسلم.

فللَّه الجمال المطلق، فكل صفاته صفات جمال، فهو سبحانه ذو الكمال والجمال والجلال والإكرام.

فهو جميل في ذاته جمالاً علويًا قدسيًا، لا يبلغ كنهه خيال المخلوقين، ولا يصوره وصف الواصفين.

وجميل في أسمائه التي هي أحسن الأسماء، فله الأسماء الحسنى التي منَّ بعلمها على من يشاء من خلقه، واستأثر سبحانه بعلم ما يشاء منها.

وجميل في صفاته التي لا يعلم حقيقتها إلا هو، وكل ما يُثني به عليه الأنبياء والصالحون والملائكة المقربون إنما هو بعضُ من جميل صفاته التي علَّمهم إياها، ولا يعلم إلا هو منتهاها.

وجميل في صنعته: فهذا الخلق الجميل خلقه، وهذا الكون العظيم صنعته، وكل تأمل في الوجود يزيدك علمًا بذلك.

وجميل في أفعاله: وهي أقداره وأقضيته وأحكامه في عباده جمال

الحكمة، وجمال القدرة، وجمال الرحمة في لطفه بعباده فيما يقضيه عليهم، وهذا أصل الإيمان بالقضاء والقدر.

* * *

- **ثمرة توحيد الأسماء والصفات:**

ثمرة هذا الباب تجمع ثمرة توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ولكن بصورة عملية تتحقق بمطالعة معاني أسمائه سبحانه المتضمنة لربوبيته، والمتضمنة لألوهيته، سواء في القرآن، أم في السنة، أم في العبادات المشروعة، والأذكار المأثورة، التي لا تخلو جميعًا من أسمائه سبحانه وصفاته، التي تحيي في القلب معاني ألوهيته ومعاني ربوبيته سبحانه لخلقه.

{تنبيه}: طال البحث في الأسماء والصفات دون بقية أنواع التوحيد لتشعب الكلام في الصفات، ولأنها من أكبر المسائل التي اختلفت فيها الطوائف، ولأن الأسماء والصفات - كما بينت في ثمرتها - تجمع مقاصد الربوبية والألوهية.

- **وأما ثمرة أنواع التوحيد جملة فهي بالإضافة لما سبق:**

١ - تنظيم حياة العبد وفق ما يحقِّقه توحيد اللَّه في نفسه من آثار إيمانية جليلة.

٢ - ذوق حلاوة الإيمان بربط العبادات بمعاني ألوهيته سبحانه وربوبيته لأن التوحيد هو روح العبادة وأصل الإخلاص.

٣ - اجتماع القلب، وتوحُّد الخواطر والطاقات، وراحة القلب، وطمأنينة النفس، لأن التوحيد يجمع النفس ويوحد شتاتها نتيجة توحد مقصودها،

وكلما كان القلب أكـثر جولانًا في حقائق وحدانية اللَّه تـعالى كلما ازداد قوة في هذا الباب، وإن هذه الوحدة النفـسية والاجتماع القلبي همـا سر السعادة في الدنيا كما يعلمه العقلاء، وسر السعادة في الآخرة كما يدركه العارفون.



• فصل •

ضد التوحيد الشرك

إذا تبينت أنواع التوحيد الثلاثة فاعلم أن لكلٍّ منها ضداً يُبطله ويخرج صاحبه من التوحيد إلى الشرك:

• **فضدُّ توحيد الربوبية:** اعتقاد العبد وجود متصرف غير اللَّه أو مع اللَّه فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه.

• **وضدُّ توحيد الأسماء والصفات:** الإلحاد في أسمائه سبحانه وصفاته. وهو أنواع ثلاثة:

١ - إلحاد المشركين الذين سمَّوا أوثانهم بأسماء اللَّه تعالى.

٢ - إلحاد المشبهة الذين يكيفون صفاته تعالى، وقد سبق بيانه.

٣ - إلحاد النفاة المعطلة، وقد بيناه.

• **وضدُّ توحيد الألوهية:** صرف شيء من أنواع العبادة لغير اللَّه. وهذا النوع من الشرك هو الغالب على المشركين[١]، وأصل الخصومة بين الرسل وأممهم[٢] ولذا نخصه بالبيان التالي:

---

(١) وذلك أن المشركين أنواع كثيرة أكثرها يرجع إلى شرك الألوهية، وأما جحود الصانع (وهو شرك الربوبية) فلم يذكر إلا عن «الدهرية»، و«الثَّنَوِيَّة».

وأما من جحدها عناداً كفرعون وغيره فهم مقرون بالربوبية باطنًا كما قال تعالى: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم..﴾ الآية.

(٢) [فائدة]: لما كانت أنواع التوحيد الثلاثة متلازمة كانت أنواع الشرك أيضًا متلازمة، يوضحه أنه من قال للمقبور: «يا شيخ أغثني» فهو مشرك في الألوهية؛ لأن الدعاء عبادة لا تجوز إلا للَّه، =

- **شرك الألوهية نوعان أكبر وأصغر:**

[١] الشرك الأكبر:

وهو ما ينافي التوحيد بالكلية، ويخرج صاحبه من الإسلام، والنصوص في الوعيد على الشرك وخلود صاحبه في النار أكثر من أن تحصى، ومعناه: صرف العبادة إلى غير اللَّه.

(ومن أنواع الشرك الأكبر): دعاء غير اللَّه، والاستعانة بالأموات أو الغائبين[١] وطلب الحاجات منهم، والاستغاثة بهم، والنذر لغير اللَّه، والذبح لغير اللَّه، والتبرك بشجرة أو حجر أو قبر أو غير ذلك، والسحر الذي يتضمن الشرك الأكبر، وتصديق الكهان والعَرَّافين، وتعليق التمائم من الخرز والوتر أو الحلق من الحديد أو التمائم التي تحتوي على طلاسم وكلام غير مفهوم، وكذلك الرُّقى التي لا يُفهم معناها.

ومن الشرك الأكبر: إطراء النبي ﷺ بمجاوزة حد البشرية والرسالة إلى مقام الألوهية والربوبية[٢] ، والغلو في الصالحين عمومًا من أكبر مفاتح

= ومشرك في الربوبية، لأن الإغاثة المطلوبة من صفات ربوبيته التي لا يجوز صرفها إلى غيره، وشرك في الأسماء والصفات، لأن هذا الداعي يعتقد أن شيخه يسمعه من أي مكان وفي أي وقت، فقد أثبت له سمعًا محيطًا بالمسموعات، فضلاً عن أنه جعل شيخه المقبور حيًّا وقيومًا، وهذه كلها من أسماء اللَّه التي لا يشاركه فيها غيره. (باختصار وتصرف من «معارج القبول» (١/ ١٧٩):

(١) وأما الأحياء فيجوز الاستعانة بهم، قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾، وأما إن كانوا غائبين بحيث يمتنع الاتصال بهم فالاستعانة بهم شرك، حيث هو اعتقاد أنهم يعلمون الغيب، وقدرتهم نافذة مع غيابهم عنًّا.

(٢) وهذا النوع من الشرك كثير جدًا في المتأخرين، يقول البوصيري في بُردته الشهيرة في مدحه ﷺ: =

الشرك، وبه ضل من ضل من الشيعة والصوفية وغيرهم حيث غلوا في المشايخ والصالحين وآل البيت بصورة فاحشة، ولم يفرقوا بين وجوب محبتهم وحرمة عبادتهم.

وأما التوسل: فمنه ما هو شرك، ومنه ما هو دون ذلك، إذ هو أنواع:

١ - **جائز**: وهو التوسل بأسماء الله وصفاته والعمل الصالح، قال ﷺ: «**أسألك بكل اسم هو لك**»، ومن التوسل بالعمل الصالح حديث أصحاب الصخرة المرويُّ في «الصحيحين»، وكذلك اتخاذ الوسائل والوسائط والشفاعات المشروعة في أمر الدنيا بين الأحياء، وهو التعاون المشروع والشفاعة الحسنة: قال ﷺ: «**اشفعوا تؤجروا**» رواه الشيخان.

٢ - **توسل مبتدع**: وهو التوسل بجاه النبي ﷺ، فإن الصحابة لم يفعلوه، وكذلك التوسل بجاه فلان أو بحق فلان، فهذا لم يرد في كتاب أو سنة[١]، وهذا التوسل قد يؤدي إلى الشرك إن اعتقد صاحبه أن الله محتاج لواسطة، حيث شبه الخالق بالمخلوق.

٣ - **توسل هو شرك**: وهو دعاء الأموات وطلب الحاجات منهم كما هو واقع اليوم، وهو شرك أكبر[٢].

= يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

وبردته تطفح بهذا النوع من الشرك الذي هو من جنس شرك النصارى بعيسى عليه الصلاة والسلام.

(١) وقد أنكر بعض أهل العلم إنكارًا شديدًا على من سأل الله تعالى بحق فلان، إذ لا حق لأحد على الله تعالى فيسأل به، بل الله ذو فضل فيُسأل من فضله: قال تعالى: ﴿واسألوا الله من فضله﴾. (أفاده صاحب «عقيدة المؤمن» ص١١٥).

(٢) راجع في تفصيل الكلام عن التوسل: «التوسل وأحكامه وأنواعه» للشيخ الألباني، ففيه تفصيل =

والتبرك أيضًا أقسام ثلاثة:

١ ـ **مشروع**: وهو التبرك بما أذن فيه الشارع على الوجه الذي شرعه، كالأراضي المقدسة بالحجاز فهي قد أذن الشارع بالتبرك بها، وجعل للتبرك بها صورة مخصوصة، فلا يجوز الخروج عنها.

٢ ـ **تبرك محرَّم**: وهو التبرك بما يقود إلى وقوع المحرم وهو ما يفعله الجهال من البدع والمحدثات والمخالفات عند قبور الصالحين: كشد الرحال إليها، والإقامة عندها، وإقامة الحفلات التي تشتمل على البدع والمعاصي والاختلاط.

٣ ـ **تبرك هو شرك أكبر**: وهو تبرك الجهال بقبور الصالحين حيث يعظمونها تعظيمًا يضاهي تعظيم الألوهية: كالاستغاثة بأهلها، والتضرع لهم، والذبح لهم، والنذر لهم، وغير ذلك[1] .

[٢] الشرك الأصغر:

وهو ما ينافي كمال التوحيد الواجب، ولا يُخرج من الملة، ولكنه ينقص ثواب العمل، وقد يحبطه إذا زاد أو غلب، وهو الرياء.

ومن الشرك الأصغر: ما جاء في قول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

«وأما الشرك الأصغر: فكيسير الرياء، والتصنُّع للخلق، والحلف بغير اللَّه، وقول الرجل للرجل: ما شاء اللَّه وشئت، وهذا من اللَّه ومنك، وأنا باللَّه وبك، ومالي إلا اللَّه وأنت، وأنا متوكل على اللَّه وعليك، ولولا اللَّه

= في الاستدلال، ورد على شبه المخالفين.

(١) وانظر مبحث «التبرك» من كتاب «عقيدة المؤمن» (ص١٣٠) ففيه تفصيل.

وأنت لم يكن كذا وكذا، وقد يكون هذا شركًا أكبر بحسب حال قائله ومقصده» انتهى[1] .

* * *

(١) أورده صاحب «فتح المجيد» (ص٥١٠) من النسخة المحققة.

• الركن السابع •

الإيمان بالملائكة (*)

• هو الركن الثاني في أركان الإيمان كما بينه حديث جبريل.

• **الملائكة:** خلق من خلق اللَّه، من عالم الغيب، ولا يعلم عددهم ولا كيفيتهم ولا خلقتهم إلا اللَّه سبحانه، وقد خلقهم اللَّه لعبادته وتنفيذ أوامره في الكون، وهم مخلوقون من نور، وليس لهم من خصائص الربوبية ولا الألوهية شيء.

• **صفات الملائكة:**

ومن صفاتهم الخلقية التي أخبر اللَّه بها: أنهم ذوو أجنحة يتفاوتون في أعدادها كما في سورة فاطر: ﴿**جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ**﴾ [فاطر:١] وقد ورد في «صحيح البخاري» أن جبريل عليه السلام له ستمائة جناح.

ومن صفاتهم: أنهم أعظم جنود اللَّه تعالى، وأنهم من كثرة العدد بحيث لا يحصيهم إلا اللَّه، وأن خِلقتهم عظيمة، وقوتهم لا يعلم عظمها إلا اللَّه.

ومن صفاتهم: التنزه عن الأعراض البشرية كالجوع والمرض والنوم والتعب وغير ذلك، وهذا لازم قوله تعالى: ﴿**يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ**﴾ [الأنبياء:٢٠]، ومن صفاتهم: الحياء، ومن صفاتهم التأذي مما يتأذى منه بنو آدم،

(*) أكثره مختصر من رسالة «شرح أصول الإيمان: نبذة في العقيدة الصحيحة» للعلامة ابن العثيمين ـ رحمه اللَّه ـ ورسالة «الإيمان بالملائكة وأثره في حياة الأمة» للشيخ صالح الفوزان، و«الثمرات الزكية» للشيخ أحمد فريد.

ومنهم من يقدر على التمثل بصورة البشر كما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة، وأعمالهم في الكون متفاوتة ومتنوعة وجليلة، كما أن درجاتهم ومنازلهم عند اللَّه تعالى متفاوتة في القرب، وأنهم لا يفعلون إلا ما أمرهم به ربهم سبحانه، قال تعالى في حقهم: ﴿**لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم:٦]، وأنهم يخافون ربهم، قال تعالى: ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ**﴾ [النحل: ٥٠].

- **والأدلة على وجوب الإيمان بالملائكة أكثر من أن تحصى:** قرآنية ونبوية وعقلية وحسية.

- **والإيمان بالملائكة يتضمن أموراً أربعة:**

١ - الإيمان بوجودهم، وأنهم أجسام حقيقية، وليست مجرد قوى معنوية كما يزعم بعض الزائغين، وهذا مقتضى نصوص الكتاب والسنة.

٢ - الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه كـ (جبريل)، ومن لم نعلم اسمه نؤمن به إجمالاً.

٣ - الإيمان بما علمنا من صفاتهم كصفة جبريل، حيث رآه النبي ﷺ إذ رآه النبي ﷺ على صورته التي خُلق عليها قد سد الأفق وله ستمائة جناح، وقد يتحول الملك بأمر اللَّه تعالى إلى صورة رجل كما حصل لجبريل في حديث الإيمان والإسلام والإحسان.

٤ - الإيمان بما علمنا من أعمالهم كالتسبيح والتعبد الدائم دون فتور. وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة منها: «الوحي» الذي وُكِّل به جبريل عليه

السلام، و«القَطر» الموكل به ميكائيل، و«النفخ في الصور» الموكل به إسرافيل، وهؤلاء الثلاثة هم أعظم الملائكة، وأعظمهم جبريل، وهناك أيضًا ملائكة موكلون بقبض الأرواح، ومنهم الموكلون بالأجنة في الأرحام، والموكلون بحفظ أعمال بني آدم، والموكلون بحفظ الإنسان نفسه، والموكلون بسؤال الميت، وهناك أيضًا خزنة جهنم، وحملة العرش، وغيرهم ممن لا يعلم أعمالهم إلا اللَّه.

ومن لطيف خصالهم وجميل أعمالهم: حبهم لمن يحب ربهم، والدعاء للمؤمنين والاستغفار لهم، ولَعن الكافرين، وغير ذلك.

- [مسألة]: **الملائكة أفضل أم صالحو البشر؟**(*) :

نسب شارح «الطحاوية» إلى أهل السنة تفضيل صالحي البشر والأنبياء على الملائكة.

وهناك من يخالف في هذا من أهل السنة وغيرهم، على تفصيل لا يسعنا ذكره في هذا المختصر.

وقد حقق شيخ الإسلام ـ رحمه اللَّه ـ أن الملائكة أفضل باعتبار البداية لأنهم الآن في الرفيق الأعلى، منزهون عما يلابسه بنو آدم، مستغرقون في عبادة الرب، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر.

وصالحو البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة، ونالوا الزلفى، وسكنوا الدرجات، وتجلى لهم الرحمن، وقامت الملائكة في خدمتهم بإذن اللَّه تعالى.

(*) باختصار وتصرف عن «الثمرات الزكية» (١٧٢ ـ ١٧٤).

● **ثمرات الإيمان بالملائكة:**

١ ـ العلم بعظمة اللّه، وجـلال سلطانه، لخلقه وقدرته وتدبيـره للملائكة الذين عظمت خلقتهم.

٢ ـ شكر اللّه تعالى على عنايته ببني آدم بقيام ملائكته عليهم.

٣ ـ محبة الملائكة على ما قامـوا به من عبادة اللّه، ولعظم نفعهم لصالحي البشر في دينهم ودنيـاهم كما يظهر من أعمالهم، ومـوالاتهم القلبية لكونهم من خيرة من عبد اللّه وأطاعه.

٤ ـ التأسي بهم في طاعة اللّه والاجتهاد في الخير.

٥ ـ اجتناب إيذائهم بالذنوب والمعاصي والروائح الكريهة وغير ذلك.

* * *

• فصل •

الإيمان بوجود الجن والشياطين[*]

• الجن والشياطين هما أقرب المغيبات من الملائكة، والأدلة على وجودهم كثيرة من القرآن والسنة والبراهين العقلية والحسية، ولذا كان التكذيب بوجود الجن والشياطين كفرًا صراحًا.

• والجن مخلوقون من النار، وهم أسبق خلقًا من الإنس، والجن يفتقرون إلى الغذاء، ويتولدون، وهم أقل قدرًا وكرامة من الإنسان[1] ، وهم يسكنون الحشوش والخرائب والمزابل.

• ولهم قدرة على التشكل بأشكال مختلفة، كما لهم قدرة على العروج إلى الملكوت الأعلى واستراق السمع من الملائكة، ثم يهبطون فيحدثون به أولياءهم من الكهان فيكذبون معها مائة كذبة كما جاء في «صحيح البخاري ومسلم».

• وصالحو الجن يدخلون الجنة لعموم الأدلة في ذلك، وإن كان هناك من خالف ذلك.

• وأذى الجن للإنس ثابت لا ينكر، إلا أن اللَّه تعالى حفظ الإنس بالملائكة المعقبات رحمة منه وفضلاً.

وأذى الجن له صور كثيرة: فقد يؤذونهم من تلقاء أنفسهم، كما يؤذونهم

(*) باختصار بالغ وتصرف من «عقيدة المؤمن» (ص١٦٢ ـ ١٨٠).

(١) هذا بصفة إجمالية، وإلا فإن صالحي الجان أفضل وأكرم على اللَّه من كفار بني آدم وعصاتهم.

بتسخير السحرة لهم، وهم يتلبسون بالإنسان ويصرعونه، ويتكلمون على لسانه، وقد يبلغ الأمر القتل، وقد جعل اللَّه في كتابه وكلام رسوله ﷺ رُقَى شرعية ومُعوذات تدفع أذاهم وتقي شرهم: كالاستعاذة باللَّه من الشيطان، والمعوِّذتين، وآية الكرسي، وسورة البقرة، وذكر اللَّه عمومًا، وغير ذلك.

• والجن نوعان: شياطين لا خير فيهم البتة، وجنٌّ منهم الصالح ومنهم الفاسد كحال الناس، وأصل الشياطين الجن؛ لأن إبليس أصله من الجن، ولما تشيطن وطرد من الرحمة كانت ذريته مثله بحكم الوراثة، لا خير فيهم أصلاً.

ويطلق «الشيطان» أيضًا على من خبث وتمرد وانقطع من الخير حتى من بني آدم لما جاء في القرآن: ﴿**شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ**﴾ [الأنعام: ١١٢].

* * *

• الركن الثامن •

الإيمان بالكتب (*)

• هو الركن الثالث من أركان الإيمان كما بينه حديث جبريل عليه السلام.

• المراد بالكتب: الكتب التي أنزلها اللَّه تعالى على رسله رحمة للخلق وهداية لهم، وتضمنت حقائق الدين وأصوله من العقائد والشرائع والآداب. وأدلته من القرآن كثيرة، ويكفي في ذلك قوله تعالى: ﴿**وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ**﴾ [الشورى: ١٥].

• **والإيمان بالكتب يتضمن أمورًا:**

١ ـ الإيمان بأن نزولها من عند اللَّه حقًّا.

٢ ـ الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه (القرآن) الذي نزل على محمد ﷺ، (والتوراة) المنزلة على موسى ﷺ، و(الإنجيل) المنزل على عيسى ﷺ، و(الزبور) الذي أوتيه داود ﷺ، وأما ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً، قال تعالى: ﴿**وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ**﴾ [الشورى: ١٥].

٣ ـ تصديق ما صحَّ من أخبارها كأخبار القرآن وأخبار ما لم يُبَدَّل أو يحرف من الكتب السابقة.

٤ ـ العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم به سواء فهمنا

(*) أكثره مختصر من «شرح أصول الإيمان» لابن عثيمين، و«٢٠٠ سؤال في العقيدة» لحافظ حكمي ـ رحمهما اللَّه ـ، و«الثمرات الزكية» للشيخ أحمد فريد.

حكمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخ بالقرآن العظيم لكونه مهيمنًا عليها أي: حاكمًا عليها، ولذا لا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها وأقره القرآن. ثم إن القرآن نفسه ينسخ بعضه بعضًا: قال تعالى: ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا**﴾ [البقرة:١٠٦] والمنسوخ منه قليل محدود. ولكنه لا يأتي بعده كتاب ينسخه أو يغير شيئًا منه: قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر:٩]، وأما الكتب السابقة فيُنسخ بعضها ببعض كما نسخ الإنجيل بعض شرائع التوراة.

٥ ـ الاعتقاد بأن الكتب التي أنزلها اللَّه هي كلام اللَّه عز وجل لا كلام غيره، وأن اللَّه تعالى تكلم بها حقيقة كما شاء، وعلى الوجه الذي أراد.

٦ ـ الاعتقاد بأن جميع الكتب المنزَّلة يصدق بعضها بعضًا.

٧ ـ الإيمان بأن التوراة والإنجيل قد حُرِّف فيها وبُدِّل، كما بين القرآن، ولما يظهر فيها من وصف اللَّه تعالى بما لا يليق، وذكر الأنبياء صلوات اللَّه عليهم بالتنقص.

● وأما عن عقيدة أهل السنة في القرآن فما أحلى وأجمع ما قاله الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ـ رحمه اللَّه ـ: •

«القرآن كلام اللَّه عز وجل حقيقة، حروفه ومعانيه، ليس كلامه الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف، تكلم اللَّه به قولاً، وأنزله على نبيه وحيًا، وآمن به المؤمنون حقًا، فهو وإن خُطَّ بالبنان، وتُلِي باللسان، وحُفِظَ بالجنان، وسُمِع بالآذان، وأبصرته العينان ـ لا يخرجه ذلك عن كونه كلام الرحمن.

فالأنامل، والمداد، والأقلام، والأوراق مخلوقة، والمكتوب بها غير مخلوق، والألسن، والأصوات، مخلوقة، والمتلوُّ بها على اختلافها غير مخلوق، والصدور مخلوقة، والمحفوظ فيها غير مخلوق، والأسماع مخلوقة، والمسموع بها غير مخلوق. قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة: ٧٧، ٧٨].

ومن قال: (القرآن أو شيء منه مخلوق) فهو كافر كفرًا أكبر يخرجه من الإسلام بالكلية، لأن القرآن كلام اللَّه تعالى، منه بدأ وإليه يعود، وكلامه صفته، ومن قال: شيء من صفات اللَّه مخلوق فهو كافر مرتد يُعْرَض عليه الرجوع إلى الإسلام، فإن رجع وإلا قُتل كفرًا، ليس له شيء من أحكام المسلمين»[1] اهـ.

• ثمرة الإيمان بالكتب:

١ ـ توقير كتب اللَّه وتعظيمها لأنها من عند اللَّه سبحانه.

٢ ـ العمل بما تضمنته الكتب مما شُرِع لنا نحن المسلمين.

٣ ـ العلم بعناية اللَّه بعباده حيث أنزل لكل قومًا كتابًا يهديهم به.

٤ ـ العلم بحكمة اللَّه في شرعه، إذ كل كتاب يناسب حال من أنزل إليهم.

٥ ـ حصول السعادة في الدارين ببركة اتباع الكتاب المنزل.

٦ ـ شكر اللَّه على هذه النعمة.

---

(١) «٢٠٠ سؤال في العقيدة» (ص٥٢).

• الركن التاسع •

الإيمان بالرسل صلوات الله عليهم

• هو الركن الرابع من أركان الإيمان كما في حديث جبريل عليه السلام.

• والرسل جمع «رسول»: والمشهور أنه: «من أوحي إليه من البشر بشرع وأُمر بتبليغه»[1] .

وأما من أوحي إليه بأمر ولم يؤمر بتبليغه فهو نبيٌّ، ومن هنا فإن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً[2] .

• ومن أدلة الإيمان بالرسل: قوله تعالى: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة:٢٨٥]، وهناك أدلة كثيرة تقرر هذا الأصل من الكتاب والسنة.

• والإيمان بالرسل هو: التصديق الجازم بأن اللَّه تعالى بعث في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى عبادة اللَّه وحده والكفر بما يُعبد من دونه، وأولهم نوح، وآخرهم محمد صلوات اللَّه وسلامه عليهم أجمعين.

• **والإيمان بالرسل يتضمن أموراً، وهي**[*] :

١ - اعتقاد أنهم جميعًا صادقون، بارُّون، راشدون، كرام بررة، أتقياء، أمناء، هداة مهتدون.

---

(١) «شرح أصول الإيمان» لابن عثيمين (ص٣٤).

(٢) «عقيدة المؤمن» باختصار (ص٢٠٨، ٢٠٩).

(*) باختصار ودمج وتصرف من: «شرح أصول الإيمان»، و«٢٠٠ سؤال في العقيدة»، و«الثمرات الزكية»، و«عقيدة المؤمن».

٢ ـ وأنهم بالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون.

٣ ـ وأنهم بلغوا رسالاتهم كاملة، ولم يكتموا أو يبدلوا أو ينقصوا أو يزيدوا شيئًا من عند أنفسهم.

٤ ـ وأنهم كلهم كانوا على الحق المبين، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع.

٥ ـ وأن اللَّه فضل بعضهم على بعض، وخَصَّ كلاً منهم بخصال: فإبراهيم خليله، وموسى كليمه، وعيسى كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، ومحمد خاتمهم وخيرتهم صلوات اللَّه وسلامه عليهم.

أما قوله ﷺ: «**لا تفضلوا بين الأنبياء**» (رواه البخاري ومسلم) فالمراد به التفضيل بالتشهي، أو تنقيص المفضول، أو التفضيل بالعصبية والهوى، ونحو ذلك. واللَّه أعلم.

٦ ـ واعتقاد أنهم جميعًا متفقون في أصل العبادة وأساسها، وهو التوحيد، وإفراد اللَّه وحده بالعبادة، وأن دينهم جميعًا الإسلام، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾ [آل عمران: ١٩].

وأما شرائعهم في الحلال والحرام وما أشبه فمختلفة من رسول إلى آخر، قال تعالى: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾ [المائدة: ٤٨].

٧ ـ والإيمان أن من هؤلاء الرسل من قصه اللَّه علينا وذكره باسمه، ومنهم من لم بقصصهم علينا، كما قال سبحانه: ﴿**وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ**﴾ [النساء: ١٦٤].

فمن ذكرهم باسمهم آمنّا بهم تفصيلاً، وعددهم خمسة وعشرون، ويدخل

في ذلك الإيمان بما صحَّ من أخبارهم، ومن لم يقصصهم علينا ولم نعلم أسماءهم آمنا بهم إجمالاً، ولم نؤمر بالتقصي عنهم حيث لا سبيل إلى ذلك غالبًا، إذ أكثر ذلك علم لا ينفع وجهل لا يضر.

٨ - واعتقاد أنهم بشر، ذكور(١)، وأنهم لا يعلمون الغيب، إلا أن يُطلع اللَّه منهم من شاء على ما يشاء سبحانه.

٩ - وأن اللَّه خصهم بمواهب عقلية وروحية، وهيأهم لما خلقهم له، هبة منه وفضلاً، إذ لا تُنال النبوة ولا الرسالة بالكسب والاختيار، خلافًا لمن زعم من الفلاسفة جواز اكتساب النبوة بالرياضة ومجاهدة النفس.

١٠- والإيمان بأنهم أفضل البشر جميعًا فلا يساويهم أحد لا صِدِّيق ولا وليّ ولا شهيد، وأنهم مطهرون من خبائث الذنوب، وذميم الأخلاق، وجميع الرذائل: كالجبن والبخل واللغو وغير ذلك، وأنهم أشرف الناس نسبًا، وأكملهم عقلاً، وأعظمهم حكمة، ومن خصالهم: الصدق والأمانة والطهر والعفة، وكل الخصال الزكية والصفات العلية المرضية.

١١ - وأن أفضلهم أولو العزم منهم، والمشهور أنهم خمسة: محمد، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى صلوات اللَّه عليهم وسلامه: قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا** ﴾ [الأحزاب: ٧].

١٢ - والإيمان بأن أفضلهم محمد ﷺ، وهو خاتمهم لا نبي بعده ولا رسول، وأنه خير نبي أرسل، بخير كتاب أنزل، إلى خير أمة أخرجت للناس.

(١) وهو القول الصحيح خلافًا لمن قال بجواز أن يكون من النساء رسل.

ومن صفاته ﷺ: الرأفة، والرحمة، والحلم، والعفو، والصدق، والأمانة، والعدل، والشجاعة، والجود.. وبالجملة فكل خصال الخير خصاله.

ومن خصائصه ﷺ: أنه خاتم النبيين كما ذكرنا، وأن رسالته تعم الناس كافة إنسهم وجنهم، وأنه أول شافع وأول مشفعٍ، وأنَّه نُصر بالرعب مسيرة شهر، وأن الأرض جعلت له مسجدًا وطهوراً، وأن الغنائم لم تحل لأحد قبله.. إلى غير ذلك من الخصائص التي بينتها النصوص.

١٣ - ويتضمن الإيمان بالرسل: العمل بشريعة من أرسله اللَّه إلينا منهم، والانقياد التام لهم، وهو محمد ﷺ نبينا الذي ختم اللَّه به الرسل.

١٤ - والإيمان بالوحي جزء من الإيمان بالرسل وهو ما يوحي به اللَّه إلى عباده الذين اصطفاهم، إما بالوحي المباشر على قلب العبد، وإما بالكلام المباشر من وراء حجاب، وإما عن طريق الملك كما كان يتنزل جبريل عليه السلام على محمد ﷺ.

والخلق أعظم حاجةً إلى الوحي من حاجتهم إلى الطعام والشراب، فهو من أعظم الضرورات، فإذا كانت الروح أشرف من الجسد، والعالم العلوي أشرف من السُّفلي، والحياة الآخرة خيرًا وأشرف من الأولى، ولا سبيل إلى معرفة النوع الأشرف من هذه الأزواج إلا عن طريق الوحي، ليعلم الإنسان حقيقته، وليتصل بخالقه، وليعرف مبدأه ومنتهاه، وحقيقة هذه الحياة الدنيا، ومنزلتها من الآخرة، وما السعادة الحقة، وما هو طريق النعيم، وكيف ينجو من الضلال والعذاب.. كل هذا لا طريق له إلا الوحي المنزل على المرسلين صلوات اللَّه وسلامه عليهم أجمعين، بل إن الوحي أيضًا يُصلح أمر الجسد،

ويصلح العالم السفلي، والحياة الدنيا، وذلك بالشرع الذي جاء به الوحي المنزل من اللَّه الذي لا يعلم إلا هو كيف يكون صلاح الدنيا والآخرة.

١٥ - ويدخل في هذا الركن: الإيمان بمعجزات الأنبياء، وهي أمر خارق للعادة مقرون بدعوى النبوة لا يمكن معارضته، يُجريه اللَّه على يدي نبي مرسل ليقيم به الدليل القاطع على صدق نبوته، وسماها العلماء معجزة؛ لأنها تُعجز العقل عن تفسيرها.

والقرآن هو المعجزة الخالدة التي خصَّ اللَّه بها محمدًا ﷺ، ودليل إعجازه أنه نزل في أكثر من عشرين سنة متحديًا به أفصح الخلق أن يأتوا بمثله أو سورة من مثله، ومع مقدرتهم البيانية وعداوتهم للقرآن وحرصهم على دحضه لم يطيقوا ذلك، فأي إعجاز أعظم من ذلك.

وأما وجوه إعجاز القرآن فهي كثيرة، وقد اجتهد العلماء في استخراجها، من جهة الألفاظ، والمعاني، والأخبار الماضية، والآتية، بحسب ما وسعهم الجهد، واللَّه أعلم بحقيقة إعجازه، إذ لم يرد من الشارع توقيف ببيان وجوه الإعجاز.

والكرامة تختلف عن المعجزة، فهي ما يكرم اللَّه به أولياءه بما يظهره على أيديهم، وليس شرطًا أن تكون خارقة للعادة، فمن الكرامة التوفيق إلى الطاعة، ولذا قيل: أعظم كرامة هي الاستقامة.

ومن الكرامات ما يكون خارقًا للعادة كما يحصل لبعض الصالحين المقبلين على اللَّه تعالى، وهذا النوع هو أكثر ما يطلقون عليه اسم الكرامة[١]، وهي

(١) ويجب أن ننبه هنا على أن الكرامة ليست هدفًا في ذاتها، بل هي من نوع المنح الإلهية التي تكون هبة من اللَّه، وليست شرطًا للتفضيل، فقد ذكروا أن كرامات التابعين أكثر من كرامات الصحابة.

تخالف المعجزة أيضًا في أنها لا تقترن بدعوى النبوة، وأن الأَوْلى كتمانها، بخلاف المعجزة التي يجب إظهارها ليتم بها التبليغ.

هذا، والأولياء مهما أوتوا فلا يبلغون مقام النبوة، أو يزيدون عليها كما يدعيه ملاحدة الصوفية، بل الحق أن الولي الحق هو الذي يتبع النبي ﷺ، وكما قال الطحاوي ـ رحمه اللَّه ـ: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء[1].

- **ثمرات الإيمان بالرسل[*] :**

١ ـ العلم برحمة اللَّه وعنايته بعباده، حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط اللَّه تعالى، ويبينوا لهم كيف يعبدون اللَّه، لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك.

٢ ـ شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى.

٣ ـ محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم، والثناء عليهم بما يليق بهم، لأنهم رسل اللَّه تعالى، ولأنهم قاموا بعبادته، وتبليغ رسالته، والنصح لعباده.

- **خاتمة: قول جامع في فضل الرسل والرسالات:**

«الدنيا كلها ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ما أشرقت عليه شمس الرسالة، وأُسِّس بنيانه عليها، ولا بقاء لأهل الأرض إلا ما دامت آثار الرسل موجودة فيهم، فإذا درست آثار الرسل من الأرض وانمحت بالكلية خَرَّب اللَّه العالم العُلوي والسُّفلي وأقام القيامة.

---

(١) «شرح الطحاوية» (ص٤٩٢) وما بعدها (المتن والشرح).

(*) «شرح أصول الإيمان» لابن عثيمين (ص٣٨).

وليست حاجة أهل الأرض إلى الرسول كحاجتهم إلى الشمس والقمر والرياح والمطر، ولا كحاجة الإنسان إلى حياته، ولا كحاجة العين إلى ضوئها، والجسم إلى الطعام والشراب، بل أعظم من ذلك، وأشد حاجة من كل ما يُقَدَّر ويخطر بالبال، فالرسل وسائط بين اللَّه وبين خلقه في أمره ونهيه، وهم السفراء بينه وبين عباده»[1] .

* * *

(١) «مجموع الفتاوى» (١٩/ ١٠١).

• الركن العاشر •

الإيمان باليوم الآخر(*)

• هو الركن الخامس من أركان الإيمان كما في حديث جبريل عليه السلام.

• والأدلة على الإيمان باليوم الاخر كثيرة جداً، منها قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ..﴾ [البقرة: ١٧٧]، ومنها حديث جبريل المشار إليه.

• ومعنى الإيمان باليوم الآخر: «التصديق الجازم بإتيانه لا محالة، والعمل بموجب ذلك ويدخل في ذلك: الإيمان بأشراط الساعة وأماراتها، وبالموت وما بعده من عذاب القبر ونعيمه، وبالنفخ في الصور وبعث الخلائق، وبموقف القيامة وأهواله، وتفاصيل المحشر من الصحف والموازين والصراط والحوض والشفاعة وغيرها، وبالجنة ونعيمها، وبالنار وعذابها»[١]، فما أُجمل من ذلك آمنا به إجمالاً، وما فُصِّل آمنا به تفصيلاً، ونوجز ذلك بترتيب وقوعه فيما يلي[٢]:

١ ـ الموت وما بعده:

الموت محتوم على كل مخلوق: قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [العنكبوت: ٥٧]، ولكل نفس أجل محدود لا يتقدم ولا يتأخر، ولا يَطَّلع أحد

(*) مستفاد أكثره باختصار وتصرف من: «شرح أصول الإيمان»، و«الثمرات الزكية»، و«عقيدة المؤمن»، و«٢٠٠ سؤال..» و«شرح الطحاوية». وتفصيل أمور اليوم الآخر محله كتب الرقائق والترغيب والترهيب، والمقصود هنا الجانب الاعتقادي.

(١) «٢٠٠ سؤال» (ص٣٠) باختصار.

(٢) آثرت الترتيب الزمني لأنه أقرب إلى الاستيعاب، وإلا فإن أهم مرحلة في هذا الركن هي =

عليه، لأنه من الغيب الذي استأثر اللَّه بعلمه.

فالإيمان بالموت يتضمن:

ـ الإيمان بأنه محتوم على كل مخلوق، قال تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾.

ـ وأن لكل نفس أجلاً محدودًا لا يتقدم ولا يتأخر.

ـ وأن أحدًا لا يعلم متى أجله، لأنه من الغيب الذي استأثر اللَّه بعلمه.

ـ ويدخل في الإيمان بالموت: الإكثار من ذكره، والتأهب له قبل نزوله، إذ هو البرزخ بين دار العمل ودار الجزاء.

ـ ويدخل في ذلك: الإيمان بملك الموت الموكل بقبض الأرواح: قال تعالى: ﴿**قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ**﴾ [السجدة: ١١].

٢ ـ سؤال القبر وعذابه ونعيمه:

● أما سؤال القبر وفتنته فهو سؤال الميت بعد دفنه عن ربه ودينه ونبيه ﷺ، فأما المؤمن فيثبته اللَّه بالقول الثابت فيقول: ربي اللَّه، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، وأما المنافق والمرتاب فيقول: ما أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته. وقد ورد ذلك في «الصحيحين» وغيرهما.

● وأما عذاب القبر ونعيمه: فهو حق ثابت دل عليه الكتاب والسنة المتواترة: قال تعالى في آل فرعون: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ [غافر: ٤٦]، وقال ﷺ: «**إن أحدكم إذا**

= الإيمان بالبعث واللَّه أعلم، لأن من آمن بالبعث آمن بكل ما يتعلق به، ومن كفر بالبعث كفر بكل ما يتعلق به، ولأن ما قبل البعث تمهيد له وما بعده ثمرة له.

مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي: إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك اللَّه يوم القيامة» (رواه البخاري ومسلم)، وغير ذلك كثير.

٣ ـ أشراط الساعة وأماراتها:

• هي الأمور التي تحصل قرب قيام الساعة إنذارًا بوقوعها، أما الساعة نفسها فهي من مفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا هو، وقد وردت أدلة كثيرة جدًّا في بيان أشراطها وتفصيل أنواعها. وهي صُغرى وكبرى:

• **أما الصغرى فكثيرة**، منها ما ظهر ومنها ما لم يظهر، ومن علامات الساعة الصغرى ما جاء في قول النبي ﷺ: «**إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزنا، ويُشرب الخمر، ويكثر النساء، ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد**» (متفق عليه).

• **وأما الكبرى فهي قليلة يمكن حصرها**، ومنها خروج المهدي، وهو أول الآيات، وظهور الدَّجال، ونزول عيسى ابن مريم، وخروج يأجوج ومأجوج، وهدم الكعبة، وطلوع الشمس من مغربها، والدابة التي تكلم الناس[1].

وهاك حديثًا جامعًا تضمن جملة من الأشراط الكبرى:

عن النواس بن سمعان قال: ذكر رسول اللَّه ﷺ الدجال ذات غداة، فخَفَّض فيه ورَفَّع حتى ظننّاه في طائفة النخل، فلما رُحنا إليه عرفَ ذلك

---

(١) وقد أُلِّفت كتب مفردة في علامات الساعة صغرى وكبرى، كما أن في مطولات كتب العقيدة وكتب الرقائق تفصيلاً. وإنما أوردنا هنا ما يناسب الإيجاز. على أن من أجمع ما ألف في الفتن وأشراط الساعة كتاب الشيخ مصطفى العدوي ـ حفظه اللَّه ـ: «الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة».

فينا، فقال: «ما شأنكم؟» قلنا: يا رسول اللَّه، ذكرت الدجال غداة، فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: «غيرُ الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، واللَّه خليفتي على كل مسلم. إنه شابٌّ قطط، عينه طافئةٌ، كأني أُشَبِّهه بعبد العُزَّى بن قَطَن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارجٌ خَلَّةً بين الشأم والعراق، فعاث يمينًا وعاث شمالاً، يا عباد اللَّه فاثبتوا».

قلنا: يا رسول اللَّه، وما لَبْثُه في الأرض؟ قال: «أربعون يومًا، يومٌ كسنة، ويومٌ كشهر، ويومٌ كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم».

قلنا: يا رسول اللَّه، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا، اقدروا له قدره».

قلنا: يا رسول اللَّه، وما إسراعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم، فيدعوهم فيؤمنون به، ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذُرًا، وأسبغه ضروعًا، وأمدَّهُ خواصر.

ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوْله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيءٌ من أموالهم.

ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل.

ثم يدعو رجلاً ممتلئًا شبابًا، فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلّل وجهه يضحك.

فبينما هو كذلك إذ بعث اللَّه المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي

دمشق بين مَهْرُودتين، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدَّر منه جُمانٌ كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفُه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ فيقتله.

ثم يأتي عيسى ابن مريم قومٌ قد عصمهم اللَّه منه، فيمسح عن وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى اللَّه إلى عيسى إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرِّز عبادي إلى الطُّور.

ويبعث اللَّه يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرَّة ماءٌ.

ويُحصر نبي اللَّه عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي اللَّه عيسى وأصحابه، فيرسل اللَّه عليهم النَّغف في رقابهم، فيصبحون فَرْسَى كموت نفسٍ واحدة، ثم يهبط نبيُّ اللَّه عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبيُّ اللَّه عيسى وأصحابه إلى اللَّه فيرسل اللَّه طيراً كأعناق البُخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء اللَّه، ثم يرسل اللَّه مطراً لا يَكُنُّ منه بيت مَدَرٍ ولا وبرٍ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلفة.

ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرُّمَّانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرِّسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللَّقحة من الغنم لتكفي الفخذَ من الناس.

فبينما هم كذلك إذ بعث اللَّه ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارُجَ الحُمُر، فعليهم

تقوم الساعة» (أخرجه مسلم).

٤ ـ البعث والنشور والحشر:

● البعث حق ثابت بالكتاب والسنة، وهو من أعظم عقائد الإسلام التي اتفقت عليها الملل، ومن أكبر ما ينكره الكفار ويستعظمونه، قال تعالى: ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ**﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، والبعث هو مقتضى الحكمة حتى يجزى كل إنسان على ما قدَّم، قال تعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ**﴾ [المؤمنون: ١١٥].

● **ويُراد بالبعث**: إحياء الموتى حين يُنفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين.

● **والنشور**: بمعنى البعث.

● **وأما الحشر**: فهو جمع الخلائق بعد بعثهم أحياء في ساحة واحدة تُدعى عرصات يوم القيامة لفصل القضاء بينهم، حُفاةً عراةً غُرلاً (غير مختتنين)، وتدنو الشمس من الرءوس، ويشتد الحر، ويبلغ الناس من الهمِّ والغمِّ ما لا يُطيقون، ويعرق الناس كلٌّ بحسب عمله حتى إن منهم من يبلغ العرق أذنيه، ويُحشر الكافر على وجهه، وأرض المحشر بيضاء تميل إلى الحُمرة، وقد وردت كل هذه الأوصاف في الصحيح عن النبي ﷺ.

● **والبعث من الأمور الثابتة بالشرع والعقل والحس:**

ـ **أما الشرع**: فنصوص كثيرة جداً في الكتاب والسنة ذكرنا هنا بعضها.

ـ **وأما العقل**: فمن وجوه:

١ ـ خلق السموات والأرض ابتداءً أعظم من إعادة الإنسان: ﴿**أَوَلَيْسَ الَّذِي**

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

٢ ـ خلق الإنسان نفسه ابتداءً أعظم من إعادته، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

٣ ـ إحياء الأرض بعد موتها يُستدل به على خروج الناس من قبورهم: قال تعالى: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ١١].

ـ **وأما الحس**: فقد أرى اللَّه عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا، وفي سورة البقرة خمسة أمثلة على ذلك: (راجع الآيات: ٥٦، ٧٣، ٢٤٣، ٢٥٩، ٢٦٠).

٥ ـ العرض والحساب والجزاء:

بعد بعث الخلائق تعرض الأعمال ويحاسبون ويجازون على ما عملوا وهو المقصود من البعث، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]، وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٦]، وقال ﷺ: «**ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك**» فقالت عائشة: يا رسول اللَّه، أليس قد قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧، ٨] قال: «**إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلى عُذِّب**»[1].

فالحساب يتناول اليسير والشديد، فاليسير: هو الوارد في الآية المذكورة وهو العرض، والحساب الشديد: هو مناقشة الحساب والاستقصاء.

وأما الجزاء فيقول سبحانه: ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الجاثية:

---

(١) متفق عليه.

٢٢]. والنصوص في ذلك كثيرة، وجزاء المؤمنين الطائعين الجنة، وجزاء الكافرين العصاة النار، وسيأتي الكلام عنهما بخصوصهما.

٦ ـ الصحف والميزان والصراط:

هذه أمور تتعلق بالحساب والجزاء:

• **فأما الصحف**: فيقول تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا..**﴾ الآيات، والإيمان بالصحف واجب، وهو من عجائب الحشر وأحواله الشداد.

• **وأما الميزان**: فهو الذي يوزن به أعمال العباد، ويجب الإيمان به، وبأنه ميزان حقيقي محسوس كما دلت نصوص الكتاب والسنة، وليس أمرًا معنويًا، فإن الله لا يُعجزه أن يجعل أعمال العباد على حالة تقبل الوزن، وإذا قد وردت نصوص الكتاب بذكر الميزان فلا يجوز تأويله.

• **وأما الصراط** الذي ينصبه الله عز وجل على جهنم موصلاً إلى جنته فيقول فيه النبي ﷺ ضمن حديث طويل عن أحوال القيامة والحشر: «**...ويُضرب جسر جهنم، فأكون أول من يجيز**[1] **من الرسل بأمته، ودعاء الرسل يومئذ اللّهم سلِّم سلِّم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان**[2]**، أما رأيتم شوك السعدان؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**فإنها مثل شوك السعدان غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله، فتخطف الناس بأعمالهم، منهم الموبق**[3] **بعمله، ومنهم المُخَردَل**[4] **حتى ينجو..**» الحديث (رواه البخاري).

(١) أي: يعبر.

(٢) شوك السعدان: نبت ذو شوك.

(٣) الموبق: أي: الهالك.

(٤) المخردل: المصروع.

٧ ـ الحوض والشفاعة:

وهما من أعظم خصائص النبي ﷺ يوم القيامة، ولذا ذكرتهما معًا، غير أن الشفاعة منها ما يخصه ﷺ، ومنها ما يشاركه فيه غيره.

● **أما الحوض**: فهو نهر في الجنة حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، وهو الكوثر الذي أُعطيه النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾ وهو مسيرة شهر. ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه من ذهب وفضة، كعدد نجوم السماء، وقدره كما بين أيلة وصنعاء، من شرب منه فلا يظمأ أبدًا، والنبي ﷺ فَرَطٌ[١] عليه، يذود[٢] الناس إليه ذودًا، ثم يُحال بينه وبين أناس فيقول: «**إنهم مني**»، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: «**سُحقًا سحقًا لمن غَيَّر بعدي**»[٣].

وأحاديث الحوض متواترة متفق على صحتها في الجملة.

● **وأما الشفاعة**: فهي من أعظم مواقف يوم القيامة، وهي ستُّ شفاعات:

ـ **الأولى**: الشفاعة العظمى الخاصة بنبينا ﷺ، وهي أعظم الشفاعات، وهي المقام المحمود الذي وعده اللّه إياه، وذلك أن الناس إذا عظم كربهم يوم القيامة التمسوا الشفاعة من الأنبياء، فيقول كل منهم: «نفسي نفسي» حتى يأتوا محمداً ﷺ فيشفع ﷺ في حالٍ كريم ومقام سنيّ، كما هو مفصل في «الصحيحين» وغيرهما.

---

(١) الفرط: هو السابق المتقدم.

(٢) يذود: أي: يدفع.

(٣) كل الأوصاف التي أوردنا هنا وردت في «الصحيحين» مفرقة على عدة أحاديث. وانظر «معارج القبول» (٢/ ١٨٩ ـ ١٩٧).

ـ **الثانية**: الشفاعة في استفتاح باب الجنة، وأول من يستفتح بابها محمد ﷺ، وأول من يدخلها أمته، وهذه أيضًا خاصة به ﷺ.

ـ **الثالثة**: الشفاعة في أقوام قد أُمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها[(١)].

ـ **الرابعة**: الشفاعة في من دخلها من أهل التوحيد أن يخرجوا منها، فيخرجون منها قد امتحشوا فيُطرحون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل كما ورد مفصلاً في «الصحيحين».

ـ **الخامسة**: الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة.

وهذه الثلاث الأخيرة لا تخص النبي ﷺ وإن كان هو المقدَّم فيها، ثم بعده الأنبياء والملائكة والأولياء يشفعون، فيقول اللَّه عز وجل: بقيت شفاعتي، فيُخرج برحمته من النار أقوامًا لا يُحصون ما علموا خيرًا يسميهم أهل الجنة: عتقاء الرحمن، كما جاء في «الصحيحين» مفصَّلاً.

ـ **السادسة**: الشفاعة في تخفيف عذاب بعض الكفار، وهذه خاصة لنبينا ﷺ في عمه أبي طالب كما في «صحيح مسلم»[(٢)].

وهذه الشفاعات هي الشفاعات المثبتة، وأما الشفاعات المنفية الباطلة فمن صورها:

١ ـ شفاعة الآلهة التي تعبد من دون اللَّه، قال تعالى: ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ**﴾ [الزمر: ٤٣].

٢ ـ الشفاعة بدون إذن اللَّه تعالى للشافع، قال تعالى: ﴿**مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ**

---

(١) وهؤلاء من عصاة الموحدين.

(٢) الكلام في الشفاعات الست منقول بتصرف يسير من «٢٠٠ سؤال في العقيدة» (ص٤١).

عنده إلاَّ بإذْنه ﴾ [البقرة: ٢٥٥][1] .

٨ ـ الجنة والنار[2] :

يتضمن الإيمان بهما أمورًا وهي:

- الإيمان بأنهما هما الغاية والمستقر، ودار الخلد، والجزاء الذي هو ثمرة البعث والحساب، وأن الجنة دار النعيم التي أعدها اللَّه للمؤمنين المتقين، وأن النار هي دار العذاب التي أعدها اللَّه للكافرين والظالمين والعصاة، فالجنة وعد اللَّه، والنار وعيده.

- الإيمان بأنهما حق لا ريب فيه، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة لا تكاد تحصى، والإيمان بكل ما ثبت من وصفهما في الكتاب والسنة.

- اعتقاد وجودهما الآن: قال تعالى في الجنة: ﴿ **أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال في النار: ﴿ **أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٤]، فكل منهما سبق إعداده ولن يُعَدَّ بعد، وهذا المعنى فصَّلته السُّنة.

- اعتقاد دوامهما بإبقاء اللَّه لهما، وأنهما لا تفنيان، خلافًا لأهل الضلال والابتداع القائلين بفنائهما، وما أكثر ما جاء في القرآن: ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا** ﴾ عقب ذكر الجنة أو النار، وقد ورد في «الصحيحين» أنه بعد دخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار يُؤْتى بالموت كهيئة كبش أملح فيذبح، ثم يقال: «**يا أهل الجنة، خلود بلا موت، ويا أهل النار، خلود بلا موت**»، والأدلة على ذلك متكاثرة من الكتاب والسنة.

---

(١) «عقيدة المؤمن» (١٣٢، ١٣٣) بواسطة «الثمرات الزكية» (١٥٤).

(٢) أكثره مختصر من «معارج القبول» (٢/ ١٩١ـ ١٨٩).

● اعتقاد أن النار لا يخلد فيها إلا الكافرون، وأما عصاة الموحِّدين الذي يدخلونها فإنهم لا يخلدون فيها، بل يخرجون منها بعد أن يعذبوا كما بيناه في الشفاعة.

● اعتقاد ما عليه أهل السنة والجماعة من أن أعلى نعيم الجنة هو رؤية اللَّه عز وجل، وهو فوق كل نعيم فيها، وهو حق ثابت لا يجحده إلا أهل البدع والضلال، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة تبلغ حد التواتر منها ما هو في «الصحيحين»[١] .

من ثمرات الإيمان باليوم الآخر[٢] :

١ - الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها رجاءً لثواب ذلك اليوم.

٢ - الرهبة من فعل المعصية والرضا بها خوفًا من عقاب ذلك اليوم.

٣ - تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.



(١) وقد توسع صاحب «الثمرات الزكية» - وفقه اللَّه - في الكلام عن الرؤية لمن شاء الاستزادة (٧٩ - ٨٨).

(٢) «شرح أصول الإيمان» لابن عثيمين (ص٤٦).

• الركن الحادي عشر •

الإيمان بالقدر

- هو الركن السادس من أركان الإيمان، لحديث جبريل عليه السلام.
- ومن الأدلة عليه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].
- ويراد بالقدر: «تقدير اللَّه تعالى للكائنات حسبما سبق به علمه واقتضته حكمته»[١].

- **فائدة: الفرق بين «القضاء» و«القدر»:**

قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه اللَّه ـ:

«القضاء إذا أُطلق شمل القدر، والقدر إذا أطلق شمل القضاء، ولكن إذا قيل: «القضاء والقدر» صار بينهما فرق، وهذا كثير في اللغة العربية، تكون الكلمة لها معنى شامل عند الانفراد، ومعنى خاص عند الاجتماع، ويقال في مثل ذلك: إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

فالقضاء والقدر الصحيح أنهما من هذا النوع، يعني أن القضاء إذا أفرد شمل القدر، والقدر إذا أفرد شمل القضاء، لكن إذا اجتمعا فالقضاء: ما يقضيه اللَّه في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير، والقدر: ما قدره اللَّه تعالى في الأزل، هذا هو الفرق بينهما، فيكون القدر سابقًا، والقضاء لاحقًا»[٢].

- والقدر من أجلِّ مسائل العقيدة التي اختلفت فيها الأمة، وضل فيها

---

(١) «شرح أصول الإيمان» لابن العثيمين (ص٥٣).

(٢) «فتاوي العقيدة» (ص٥٤٠).

من ضل، بسبب قلة التسليم وضعف الانقياد، إذ إن القدر سر اللَّه في خلقه، فمن لم يقنع بالتسليم والرضى وطَلَبَ كشف هذا السر بعقله ما ازداد إلا ضلالاً.

وفيه مسائل جليلة:

[المسألة الأولى]

مراتب الإيمان بالقدر

الإيمان بالقدر أربع مراتب، وهي: العلم والكتابة والمشيئة والخلق، وهاك بيانها:

المرتبة الأولى: الإيمان بأن اللَّه تعالى علم بكل شيء جُملة وتفصيلاً، أزلاً وأبدًا، على الكمال والتمام قال تعالى: ﴿**وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا**﴾ [الطلاق: ١٢].

الثانية: الإيمان بأنه تعالى كتب ما سبق به علمه في اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ**﴾ [يس: ١٢]، ولا يخرج مخلوق عما كتب له.

الثالثة: الإيمان بمشيئة اللَّه النافذة، فما شاء اللَّه كان وما لم يشأ لم يكن، سواء كانت مما يتعلق بفعله سبحانه أم مما يتعلق بأفعال عبيده: قال تعالى: ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ**﴾ [القصص: ٦٨]. وهذا لا ينفي أن للعبد مشيئة، ولا يقال إنه مجبور، فإن اللَّه أثبت مشيئته ومشيئة العباد في قوله: ﴿**لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩].

ويدخل في هذه المرتبة: الإيمان بقدرته تعالى الشاملة. والقدرة توافق

المشيئة فيما كان وما سيكون؛ لأن كل ما يشاؤه كان أو سيكون فإنه يقدر عليه، وتفارق القدرة المشيئة فيما لم يكن ولن يكون فإنه سبحانه مع أنه لا يشاؤه إلا أنه لا يعجز عنه بل يقدر عليه. فكل ما شاءه يقدر عليه، وليس كل ما يقدر عليه يشاؤه. والمسألة الثالثة تتعلق بهذه المرتبة.

الرابعة: الإيمان بخلقه سبحانه لكل الأشياء بذاتها وصفاتها وحركاتها، فأفعال العباد وأوصافهم مخلوقة كما أن ذواتهم مخلوقة، قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الصافات:٩٦]، وهم قادرون على أفعالهم، وهو الذي أقدرهم، ولا يقال جبرهم، وإلا كيف يعذبهم على ما هم عليه مجبورون وهو الرحمن الرحيم الذي حرَّم الظلم على نفسه؟!

* * *

[المسألة الثانية]

«وسطية أهل السنة في باب القضاء والقدر»

يقول شيخ الإسلام ـ رحمه اللَّه ـ في عبارة شافية كافية: «وهم (أي: أهل السنة) في باب خلقه وأمره وسط بين:

المكذبين بقدرة اللَّه، الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة، ومشيئته الشاملة، وخلقه لكل شيء[1].

(١) يعني «القدرية النفاة» من المعتزلة وغيرهم، الذين ينفون خلق اللَّه لأفعال عباده، ويجعلون العبد خالقًا لفعل نفسه، ويقولون: اللَّه شاء الإيمان والكافر شاء الكفر، وذلك لينزهوا اللَّه بزعمهم عن الظلم، إذ لو قالوا: إن مشيئته نافذة في أفعالهم، فمعناه عندهم أن اللَّه قدَّر الكفر على الكافر وعذبه، ففروا إلى أشد من ذلك، إذ يلزم عن ذلك أن مشيئة الكافر غلبت مشيئة اللَّه، فلكي ينزهوا اللَّه عن الظلم نفوا عنه القدرة، إذ لم =

وبين المفسدين لدين اللَّه الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل، فيعطلون الأمر والنهي والثواب والعقاب[١]، فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨][٢].

فيؤمن أهل السنة بأن اللَّه على كل شيء قدير: فيقدر أن يهدي العباد ويقلِّبَ قلوبهم؛ لأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في ملكه ما لا يريد، ولا يعجز عن إنفاذ مراده، وأنه خالق كل شيء من الأعيان والصفات والحركات.

ويؤمنون أن العبد له قدرة ومشيئة وعمل، وأنه مختار، ولا يسمونه مجبورًا، إذ المجبور من أُكره على خلاف اختياره، واللَّه سبحانه جعل العبد مختارًا لما يفعله، فهو مختار مريد، واللَّه خالقه وخالق اختياره.

= يتحملوا إثبات المشيئتين، ونسبوه سبحانه إلى العجز، وهؤلاء هم مشبهة الأفعال، لأنهم جعلوا ظلم اللَّه ـ وحاشاه ـ من جنس ظلم العباد، وقضاءه في عباده مثل قضاء السيد في مماليكه. تعالى اللَّه عما يقولون علوًا كبيرًا.

(١) قوله: «فيعطلون الأمر والنهي والثواب والعقاب» معناه أنهم حين ينفون قدرة العبد ويجعلونه مجبورًا يُسقطون حكمة الأمر والنهي وهي الاختبار، لأن المجبور كيف يُختبر ويؤاخذ بفعله فيُثاب عليه أو يعاقب مع كونه مُكرهًا عليه؟ تعالى اللَّه عما يأفكون!!

(٢) هنا يتكلم عن الطائفة الأخرى التي هي عكس الطائفة الأولى، وهؤلاء هم القدرية المثبتة الغلاة، المسمَّون بالجبرية من الجهمية وغيرهم، الذين يجعلون مقتضى المشيئة النافذة أن يكون العبد لا مشيئة له ولا قدرة، فإذا كان الفريق الأول أراد أن ينزه اللَّه من الظلم فنسبه إلى العجز، فإن هذا الفريق لم يجد سبيلاً إلى نفي الظلم عنه إلا بإثبات العجز ونفي القدرة، فهؤلاء أيضًا لم يتحملوا إثبات المشيئتين، وهؤلاء هم معطلة الأفعال، لأنهم عطلوا فعل العبد ونفوا عنه القدرة والمشيئة، وعطلوا حكمة الرب وعدله ورحمته، وأهل السنة آمنوا بأنه عدل رحمن حكيم، وبأنه على كل شيء قدير، فهم وسط بين هاتين الفرقتين المنحرفتين.

«وهذا ليس له نظيـر، فـإن اللَّه ليس كـمـثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله»[١] اهـ.

وفي هذه العبارة الأخيرة المسودة ـ على وجازتها ـ أكمل بيان وأشفى هدىً للمسألة القدرية التي حار في فهمها أكثر الخلق إلا الأمة الوسط أهل الصراط المستـقيم، وذلك أن معنى أن اللَّه تعـالى ليس كمثله شيء في أفـعاله (وهي أقداره وأقضيته) وأنه سبحانه متفرد في فعله بما لا يماثله فيه مخلوق، أي: أن أفعاله تأتي على غير المعهود من الخلق.

فإذا كنا نعهـد من المخلوق أنه يستيحل عليه أن يؤثِّر في فعل غـيره تأثيرًا تامًّـا، ثم يكون ذلك الغير هو المؤثر في هذا الفعل تأثيرًا تامًّـا، ويكون مريدًا لفعله غير مجبور عليـه، بل ومسئولاً عنه ومؤاخذًا به ـ إذا كنا لا نعقل ذلك بين مخـلوق ومخلوق فـلا يجوز أن يكون لنا نفس الحكم إذا كـان ذلك بين خالق ومخلوق؛ لأن الخالق لا يقاس بالمخلـوق، إذ إنه سبحانه ليس له نظير في أفعـاله، كما أنه لا نظير له فـي أسمائه وصفـاته كما ذكر شـيخ الإسلام هنا.

فلما علمنا أنه على كل شيء قدير، وأنه قائم بالقسط، وأنه حكيم خبير، وأنه رحـمن رحيم، ثم هذا شـأنه في صفـاته، ثم علمنا من كـلامه وكـلام رسوله ﷺ أن شأنه في أفعاله هو أن قـضاءه نافذ في عباده: يخلق ذواتهم وصفاتهم وأفعالهم، وأنه مع خلقه لأفعالهم أثبت لهم المشيئة والقدرة، ثم إنه يؤاخذهم بذلك ـ علمنا يقـينًا أن هنا شيئًـا لا طاقة للمخلوق بمعرفـة كنهه، وهو أن اللَّه يقدر على أن يخلق فـعل الإنسان، والإنسان ـ باختـيار تام منه ـ

(١) «مجموع فتاوي شيخ الإسلام» (٣/ ٣٧٣، ٣٧٤).

هو الفاعل لفعل نفسه، واللَّه لا يظلمه في ذلك، وهذا نوع من القدرة التي لا يحيط بكنهها مخلوق، فإن قيل: هذا لا يتصور عقلاً ولا عادة، بل هذا مستحيل عقلاً وعادة.

فالجواب: نعم، هذا بقياس عقل الإنسان وعادة الإنسان، وأما فعل الرحمن وقدرته فلا يحيط بكنه ذلك مخلوق، ولا يأتي ذلك على مثال أفعال الإنسان وقدرته حتى يمكنه أن يدركها عقله أو تشبهها عادته، وإلا لقلنا: إن هذا غير مقدور للَّه تعالى فننفي أنه على كل شيء قدير لا يستثنى من ذلك شيء. وهذا نافع جدًّا في حل المسألة القدرية بحمد اللَّه تعالى.

فهنا تتحقق الوسطية التي عليها أهل السنة والجماعة من الجمع بين الإيمان بالقدرة والإيمان بالعدل لا نفرق بينهما كما فرق أهل الضلال فانحرفوا عن جنبتي الصراط المستقيم، فالسرُّ كل السر في التسليم، فإن القدر هو سر اللَّه المكنون، وأنَّى للمخلوق أن يكشف أمرًا ستره الخالق جل في علاه؟! هذا محال.

* * *

[المسألة الثالثة]

«الإرادة نوعان: قدرية وشرعية»(*)

إرادة اللَّه عز وجل كما جاء في النصوص لها معنيان:

إحداهما: إرادة قدرية كونية، وهي مختصة بقضائه وقدره وكلماته

(*) ذاهذا البحث يتعلق بالمرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر التي تضمنتها المسألة الأولى، وهي مرتبة الإيمان بالمشيئة والإرادة والقدرة.

الكونيات[1] وهذه الإرادة هي مقتضى ربوبيته وتصرفه في خلقه.

والأخرى: إرادة دينية شرعية، وهي مختصة بأمره ونهيه وكلماته التكليفيات[2] وهذه الإرادة هي مقتضى ألوهيته سبحانه واستحقاقه للعبادة وحده.

ثم «الإرادة الكونية» يدخل فيها ما يحبه اللَّه وما لا يحبه شرعًا؛ لأنه لا يكون شيء إلا بإرادته الكونية، قال تعالى: ﴿**فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا**﴾ [الأنعام: ١٢٥].

و«الإرادة الشرعية» تختص بما يحبه اللَّه ويرضاه من العبادة والطاعة، قال تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾ [البقرة: ١٨٥].

و«الكونية» يخضع لها المؤمن والفاجر؛ لأنها من ربوبيته تعالى، وربوبيته شاملة لكل ما خلق، و«الشرعية» لا يخضع لها إلا المؤمن؛ لأنها مقتضى ألوهيته، وليس كل الناس يؤمن بألوهيته سبحانه، ولذا فإن اللَّه تعالى قد يريد دينًا وشرعًا ما لا يريده قدراً وكونًا، فتنفُذ إرادته القدرية الكونية لأنها هي التي شاء اللَّه أن لا تُرَدَّ، إذ إن تصرفه الكوني القدري هو مقتضى ربوبيته، وعدم تحقق الإرادة الشرعية ليس نقصًا ولا يناقض الإرادة الكونية، وذلك لأنه ليس من مقتضى ألوهيته التي تختص بها إرادته الشرعية أن يعبده كل الناس، فهو الإله الحق وإن لم يعبده أحد، وأما النقص فهو عدم تحقق إرادته الكونية، لأن مقتضى الربوبية هو أن يخضع الكل لقضائه، فإذا خرج

---

(١) يراد بالكلمات الكونيات: الكلمات التي يُكَوِّن اللَّه بها ما يريد من الخلق، وهي من قوله تعالى: ﴿إنَّما أمرُهُ إذا أراد شيئًا أن يقولَ لَهُ كُنْ فيكُونَ﴾ [يس: ٨٢].

(٢) الكلمات التكليفيات هي كلمات اللَّه التي يقع بها التكليف، وهي الأمر والنهي المتضمن للشريعة وأحكام الدين.

مخلوق واحد عن ذلك كان هذا نقصًا في القدرة، وهذا محال على اللَّه.

ومن هنا يكون الجواب على من يقول: كيف يريد ما لا يحبه ويرضاه، إذ لا مضادة بين أن يحب شيئًا بمقتضى ألوهيته وحكمه الشرعي، ثم يمنع وقوعه لما اقتضته ربوبيته وحُكمه القدري وحكمته في خلقه، فهو الذي أحب الشيء ورضيه، وهو الذي أراد أن لا يكون، لحكمة أعظم لا يعلمها إلا هو.

ومعرفة الفرق بين الكوني القدري والديني الشرعي أصل عظيم يُجَلِّي باب القدر، ويدفع شبهات كثيرة، ويسلم به المرء من الانحراف عن الحق في هذا الباب، ومما ينبني على هذا الأصل المسألة التالية وهي:

* * *

[المسألة الرابعة]

«لا بد من أمرين: الإيمان بالقدر والامتثال للشرع»

لا يستقيم أمر الدين إلا لمن آمن بالقدر وامتثل للشرع، فإن الإيمان بالقدر نظام التوحيد، والأخذ بالأسباب الموصلة إلى مقاصد الدين هو نظام الشرع.

ـ فمن نفى القدر زاعمًا منافاته للشرع فقد عطل اللَّه عن علمه وقدرته، وجعل العبد مستقلاً بأفعاله خالقًا لها، فجعل المخلوق خالقًا مع اللَّه.

ـ ومن أثبت القدر محتجًا به على الشرع، نافيًا عن العبد قدرته واختياره، زاعمًا أن اللَّه كلفه ما لا يطيق ـ فقد نسب اللَّه إلى الظلم، وكان إمامه في ذلك إبليس. مع أن هذا المحتج بالقدر على الشرع لو اعتدى عليه أحد ثم قال له: لا تلمني، لأني إنما اعتديت عليك بقدر اللَّه، لم يقبل احتجاجه في حق نفسه، مع أنه يحتج به لنفسه في اعتدائه على حق اللَّه تعالى، ومن

الناس من تراه عند الطاعة قدريًّا يؤمن بأن للعبد قدرة ومشيئة ليحمد نفسه، وعند وقوعه في المعصية جبريًّا ينفي عن نفسه القدرة ويقول: إن اللَّه هو الذي قدَّرَ عليَّ ذلك! أيُّ مذهب وافق هواه تمذهب به.

ـ فأما المؤمنون المتبعون للحق فيؤمنون بالقدر خيره وشره، وينقادون للشرع أمره ونهيه، ويؤمنون أن اللَّه يهدي مَن يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله، وهو أعلم بمواقع عدله وفضله، وله في ذلك الحكمة البالغة والحجة الدامغة، ويُعزُّون أنفسهم بالقدر عند المصائب، ولا يحتجون به في الذنوب والمعايب.

* * *

[المسألة الخامسة]

«حل شبهة قدرية معضلة» (*)

إن قيل: كيف يريد اللَّه سبحانه أمرًا لا يرضاه ولا يحبه؟ وكيف تجتمع إرادة اللَّه له وبغضه له؟

فالجواب: هذا السؤال هو الذي افترق الناس لأجله فرقًا.

فاعلم أن المراد نوعان: مراد لنفسه ومراد لغيره:

فالمراد لنفسه: مطلوب محبوب لذاته ولما فيه من الخير، فهو غاية ومقصد في ذاته.

(*) ذكره الإمام ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ وهو من أبدع ما سال به مداد العلماء، فهو نور وشفاء لمن أحرقت قلبه شبهات المختلفين في القدر، ولذا أوجزناه هنا بشيء من التصرف، وهو لا يغني عن الأصل. انظر «مدارج السالكين» (٢/ ٢٠٢ ـ ٢٠٧) وقبل ذلك وبعده متعلقات نافعة.

والمراد لغيره: هو ما كان وسيلة إلى المراد لنفسه، فهو مطلوب لكونه يوصل إلى غيره، وإن كان هو في نفسه قد يكون مكروهًا، فإذا نظرنا إلى ما فيه من الكراهة الذاتية لأبغضناه، وإذا نظرنا إلى كونه يوصل إلى محبوب أكبر (وهو المراد نفسه) لرضيناه وأحببناه. ولا تنافي بين الصفتين، مثال ذلك: قطع العضو المتآكل من الجسد إذا علم أن في قطعه بقاء جسده، فهو مكروه في ذاته وهو أنه إتلاف عضو، ومراد لغيره وهو أنه يؤدي إلى الحفاظ على أكثر الجسد.

واللَّه سبحانه وتعالى يكره الشيء ويبغضه في ذاته، ولا ينافي ذلك إرادته لغيره، وكونه سببًا إلى ما هو أحب إليه من فوته.

ومثال ذلك: خلق إبليس، فهو مع كونه أصل الشر ومادة الفساد، وهو محل غضب اللَّه ولعنه، إلا إن وجوده وسيلة إلى مَحَابٍّ كثيرة للرب، وجودها خير من عدمها:

فمنها: أن تظهر للعباد قدرته سبحانه على خلق المتضادات، فخلقة لإبليس مادة الشر يقابل خلقه لجبريل مادة كل خير، وكذلك خلق الليل يقابله النهار، والأرض والسماء، والماء والنار.. وغير ذلك، وذلك من كمال قدرته وعزته وسلطانه وتصرفه في هذه المتضادات على أكمل وجوه الحكمة والتقدير.

ومنها: ظهور آثار أسمائه القهرية سبحانه مثل: «القهار»، و«الخافض»، و«ذي البطش الشديد».. وغير ذلك، ولو كان الخلق كلهم على طبيعة المَلَك لم يظهر أثر هذه الأسماء والأفعال.

ومنها: ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه ورحمته، ومغفرته، وستره،

فلولا خلق ما يكره من الأسباب المفضية إلى ظهور الآثام لتعطلت آثار هذه الأسماء.

ومنها: ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة، فإن الحكيم الخبير هو الذي يضع الأشياء في مواضعها، فلا يضع الثواب موضع العقاب، ولا العكس، ولا الرفع موضع الخفض ولا العكس.. وهكذا، فلو قُدِّر عدم الأسباب المكروهة لتعطلت آثار حكمته.

ومنها: حصول العبودية المتنوعة التي لولا إبليس لما حصلت، ولكان الحاصل بعضها لا كلها، وذلك كعبودية الجهاد، إذ لا جهاد إلا بوجود مؤمنين وكفار، وكذلك عبودية التوبة، فلو عطلت أسباب المعصية فَممَّ تكون التوبة؟ وكذلك عبودية الاستعاذة والاستجارة باللَّه لا تكون إلا من أعداء اللَّه، وكذلك عبودية الاعتبار بما يحل بالكفار والعصاة من عقوبات ربانية، وكذلك عبودية اتخاذ الشيطان عدواً، وعبودية مخالفة الشيطان، وأكثر عبادات القلوب والجوارح مُرَتَّبة على مخالفته.

ومنها: أن الطبيعة البشرية مشتملة على الخير والشر، وذلك كامن فيها، فخلق الشيطان مستخرجًا ما في طبائع أهل الشر ومظهراً له، وأُرسلت الرسل تستخرج ما في طبيعة أهل الخير وتظهره، وبخروج الخير والشر الكامنين يحصل آثارهما، وتظهر حكمته سبحانه في الفريقين، وينفُذ حكمه فيهما.

ومنها: أن ظهور كثير من آياته وعجائب صنعه حصل بسبب وقوع الكفر والشر من النفوس الخبيثة: كآية الطوفان، وآية الريح، وآية إهلاك ثمود وقوم لوط، وغير ذلك من الآيات الباهرة.

وبالجملة: فما يترتب على خلق ما لا يحبه سبحانه أحب إليه من فواته.

وهذا السؤال الذي أجيب عنه هنا هو الذي سألته الملائكة حين قالوا: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]. فظنت الملائكة أن وجود من يسبح بحمده ويطيعه ويعبده أولى من وجود من يعصيه ويخالفه، فأجابهم سبحانه بأنه يعلم من الحكم والمصالح والغايات المحمودة في خلق هذا النوع ما لا تعلمه الملائكة.

- **ثمرات الإيمان بالقدر**(*):

١ ـ الاعتماد على اللَّه تعالى عند فعل الأسباب، بحيث لا يعتمد على السبب نفسه، لأن كل شيء بقدر اللَّه تعالى.

٢ ـ أن لا يُعجب المرء بنفسه عند حصول مراده، لأن حصوله نعمة من اللَّه تعالى، بما قدره من أسباب الخير والنجاح، وإعجابه بنفسه يُنسيه شكر هذه النعمة.

٣ ـ الطمأنينة والراحة النفسية بما يجري عليه من أقدار اللَّه تعالى، فلا تقلق بفوات محبوب أو حصول مكروه، لأن ذلك بقدر اللَّه الذي له ملك السموات والأرض وهو كائن لا محالة، وفي ذلك يقول اللَّه تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

* * *

(*) «شرح أصول الإيمان» لابن العثيمين (ص٥٨، ٥٩).

• الركن الثاني عشر(*) •

« مقام المشاهدة »

• المشاهدة هي أحد المقامين اللذين يتضمنهما الإحسان، كما في حديث جبريل عليه السلام، حيث قال ﷺ: «**الإحسان أن تعبد اللَّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**». والإحسان كما ذكرنا في أول الرسالة إذا ذكر مع الإيمان فهو أعلى من مجرد الإيمان بالمراتب الست السابقة، فهو أعلى مراتب الدين.

فقوله عليه الصلاة والسلام: «**أن تعبد اللَّه كأنك تراه**» هو مقام المشاهدة، وقوله: «**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» هو مقام الإخلاص والمراقبة كما سنبينه هنا.

• ومعنى المشاهدة: أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لربه بقلبه، وهو أن يتنور القلب بالإيمان، وتنفذ البصيرة في العرفان، حتى يصير الغيب كالعيان، فهذه المرتبة تستلزم كمال الهيبة والتعظيم والخشية.

• وأهل هذا المقام متفاوتون فيما بينهم مع أنهم في مجموعهم أرفع أهل الدين درجةً، وهم أعلى درجة من أهل المقام التالي وهو مقام المراقبة.



(*) هذا الركن والذي يليه أفدتهما من «معارج القبول» (٢/ ١٥٩)، و«٢٠٠ سؤال» (ص٥١، ٥٢).

• الركن الثالث عشر •

« مقام المراقبة والإخلاص »

• وهو ما جاء في قوله ﷺ: «**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

• والمقصود بالمراقبة: مراقبة رؤية الله لعبده وإطلاعه سبحانه على فعله، فيخلص في عمله لله تعالى، لأن استحضار ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله.

• وهذا المقام هو الوسيلة إلى المقام الأول، وأهل هذا المقام درجات فيما بينهم كما أن أهل المقام الأول درجات، قال تعالى: ﴿**هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾ [آل عمران: ١٦٣].

[**تنبيه**]:

الكلام في الإحسان الوارد في الحديث هو أصل الكلام في المعارف الإيمانية والقلبية، ويتفرع عنه علم أحوال القلوب الذي تضمنته كتب السلوك والرقائق[1]، وهي محل تفصيل الكلام في هذا الباب، كما أن محل تفصيل الكلام عن أركان الإسلام الخمسة ما عدا الشهادتين محله كتب الفقه، ولما كنا معنيين هنا بالعقائد كان أكثر العناية متجهًا إلى أركان الإيمان الستة دون ما

---

(١) من أنفع كتب السلوك: كتاب «مدارج السالكين» لابن القيم ـ رحمه الله، بل أكثر كتبه، وكذلك الإمام الرباني شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ له بحوث هي من أصول هذا الباب ومفاتحه، فمن ذلك ما تضمنه «مجموع الفتاوى» (ج١٠، ١١)، ومن الكتب النافعة في هذا الباب «مختصر منهاج القاصدين» لابن قدامة، و«البحر الرائق»، و«تزكية النفوس» كلاهما للشيخ أحمد فريد ـ حفظه الله.

سواها.

وإنما أردنا هنا استيفاء الكلام عن حديث جبريل العظيم الذي جمع أمور الدين الأصلية في الأمور العَقَدية والأحكام العملية والأحوال القلبية، ليتبين موقع العقيدة ومنزلتها من الدين، وصلتها بغيرها، وتكامل حقائق هذا الدين؛ ليتحرى طالب الآخرة تحصيلها في مواطنها، وبالله التوفيق.

* * *

فصول نافعة
في
أصول جامعة

فصول نافعة في أصول جامعة

(١)

خصائص الأمة الإسلامية(*)

من أهم خصائص أمة الإسلام التي رفعها اللَّه بها على الأمم، والتي على كل مسلم أن يجتهد في أن يتحلى بها علمًا وعملاً، حتى يكون حقيقًا بما جعله اللَّه لهذه الأمة من الفضل والسبق في أمر الدنيا والآخرة ـ أنها:

[١] خير أمة أخرجت للناس: قال تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ [آل عمران: ١١٠]

[٢] أمة وسط: قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾ [البقرة: ١٤٣].

[٣] أمة الشهادة: قال تعالى: ﴿**لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقال سبحانه: ﴿**فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**﴾ [آل عمران: ٥٣].

[٤] أمة الجماعة: ولهذا كان فضل الفاضل منها يقاس بمدى تمسكه بالجماعة، وكانت خير قرون الأمة أكثرها اجتماعًا على الهدى.

[٥] أمة مؤيدة: بخلاف أهل التوراة الذين حُمِّلوا التوراة فلم يحملوها، وأهل الإنجيل الذين لم يستطيعوا حمله.

[٦] شرعتها أهدى وأكمل من الشِّرعتين السابقتين:

فكتابها مهيمن على ما بين يديه من الكتاب، أي: شاهد وحاكم على الكتب السابقة.

(*) مختصر من قاعدة «الوسطية» التي سبق أن جمعتها من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ضمن مشروع «التقريب والتهذيب لعلوم شيخ الإسلام» القسم الأول. وقد صدر منه أربعة قواعد =

[٧] عباداتها أكمل وأنفع: وهذا لا يخفى على من تأمل أنواع العبادات الإسلامية، وقارنها بعبادات الأمم الأخرى.

[٨] معتدلة بين شدة اليهود ولين النصارى: قال تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾ [الفتح:٢٩]، فجمعوا بين الشدة واللين، وأنزلوا كلاً منزلته، ولهذا قيل: «**بُعث موسى بالجلال، وبعث عيسى بالجمال، وبعث محمد بالكمال**» صلوات اللَّه عليهم وسلامه.

[٩] شريعتها عدل وفضل: فالعدل هو شريعة التوراة، والفضل هو شريعة الإنجيل، وشريعة الإسلام هي العدل والفضل جميعًا وهو الكمال.

[١٠] إجماعها حجة قاطعة: ولهذا كان الإجماع حجة في جميع أمور الدين، وأحد مصادر الشريعة الإسلامية.

[١١] دينها محفوظ بعناية اللَّه: قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر:٩].

[١٢] علماؤها خيارها: قال الشعبي - رحمه اللَّه -: «كل أمة علماؤها شرارها، إلا المسلمين فإن علماءهم خيارهم».

[١٣] آخر الأمم خلقًا وأول الأمم بعثًا: قال ﷺ: «**نحن الأولون الآخرون يوم القيامة...**» الحديث، متفق عليه.

ومن خصائص الأمة المحمدية أيضًا:

الأذان، والوضوء، والتيمم، والحج، وإباحة الغنائم، وحِلُّ القرابين[١]،

= بحمد اللَّه.

(١) هي الذبائح، فإن من كان قبلنا كان إذا ذبح ذبيحة لم يأكل منها، وإنما تأتي نار من السماء فتأكلها، وكذلك الغنائم كانوا يجمعونها، ثم تأتي نار فتأكلها.

وكفـارة اليمين، والوطء بملك اليـمين، ويوم الجمـعة، والإسناد، والتـحدث بالعربية، وغير ذلك.

* * *

(٢)

خصائص أهل السنة والجماعة(*)

كل ما ذكرناه في خصائص أمة الإسلام فإن أحق الناس به أهل السنة والجماعة، فإن أهل السنة بين النِّحل كالإسلام بين الملل، ولذا فلن نكرر هنا أكثر ما جاء هناك، وإن كنا سنفصِّل بعض الخصائص، ومن أهم خصائص هذه الفرقة الناجية أنها:

[١] خير فرقة: فكما أن أهل الإسلام هم خير أمة، فكذلك أهل السنة هم خير فرقة، فإن كل خير في أي طائفة سواهم فهو فيهم أكثر، وكل شر فيهم فهو في غيرهم أكثر(١).

[٢] فرقة وسط: فهم في باب الأسماء والصفات وسط بين أهل التعطيل وأهل التمثيل، كما بيناه في توحيد الأسماء والصفات.

- وهم في باب «القضاء والقدر» وسط بين القدرية والجبرية، كما بيناه في ركن «الإيمان بالقدر».

- وهم في باب «الأسماء والأحكام والوعد والوعيد» وسط بين الخوارج

(*) الخصائص من [١] إلى [١١] مختصرة من قاعدة «الوسطية» لشيخ الإسلام التي سبق الكلام عنها في البحث السابق.

(١) وهذا نافع جدًا، لأن كثيرًا من الناس يحسب أن الخيرية تنافي وجود زلات، وهذا باطل، فإن أئمة أهل السنة مع كونهم نجوم الهدى، إلا أن الواحد فيهم يزلُّ ويُؤخذ من قوله ويترك، وإنما الغالب عليهم السلامة، وأهل البدع والضلال أيضًا ليسوا بالضرورة باطلاً محضًا، بل لهم نصيب في الخير، ولكن غلب عليهم غير ذلك. فأهل السنة هم أكثر إحسانًا وأقل زللاً، وكذلك شأن المسلمين بين الأمم فتأمل.

الذين يحكمون على أهل الكبائر بالكفر، وبين المرجئة الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، ويتهاونون في شأن الوعيد والعقاب.

- وهم في أصحاب النبي ﷺ وسط بين الشيعة الذين يفضلون عليًّا على أبي بكر وعمر، وبين الخوارج الذين كفَّروا عليًّا وعثمان وقدحوا في خلافة علي.

- وهم كذلك في سائر أبواب السنة، فهم أقرب إلى كل طائفة من ضدها.

[٣] **فرقة قسط**: فهي تستعمل العدل مع من خالفهم، بل أهل السنة لكل طائفة من المبتدعة خير من بعضهم لبعض، وهم يعترفون بذلك، ويقولون: أنتم تنصفوننا ما لا ينصف بعضنا بعضًا.

[٤] **أعلم الناس بالحق وأرحمهم بالخلق**: فهم يعرفون الحق ويتبعونه، ويرحمون الخلق ويعدلون فيهم، ويعذرون من اجتهد في طلب الحق فعجز عن معرفته، ولا يذمون إلا المفرِّط في طلب الحق، والمعتدي المتبع لهواه بغير علم، وهذا وهذا هو ما ذمه اللَّه ورسوله ﷺ.

[٥] **لا يجتمعون على ضلالة**: فأهل السنة لم يتفقوا قط على خطأ، ولا يمكن أن يعمهم معنى مذموم في الكتاب والسنة بحال كما يعم الرافضة، نعم يوجد في بعضهم ما هو مذموم، ولكن هذا لا يلزم منه ذمهم، كما أن المسلمين إذا كان فيهم ما هو مذموم لذنب ركبه لم يستلزم ذم الإسلام وأهله القائمين بواجباته.

[٦] **مذهبهم أصل قديم**: فهو معروف قبل أن يخلق اللَّه أبا حنيفة ومالكًا والشافعي وأحمد، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم ﷺ.. وإذا

قـدر أن في بعض طوائف أهل السنـة من قال أقـوالاً باطلـة لم يبطل بذلك مـذهـب أهل السنة، بل يُرَدُّ علـى من قـال ذلك البـاطل، وتُنصـر السنة بالدلائل.

[٧] يتحرَّون الحق ولو على أنفسهم: فعلماء المسلمين يميزون في المنقولات بين الصدق والكذب وإن كان فيه من فضائل نبـيهم وأعلامه وفضائل أصحابه وأمته ما هو عظيم، ويقبلون الصدق وإن كان فـيه شبهة وإشكال، وقد يحتج به المنازعون لهم، وكان عبد الرحمن بن مهدي يقول: «أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم».

[٨] صادقون في القول ومصدِّقون للحق: قال تعالى: ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٣٢) وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾ [الزمر: ٣٢، ٣٣]، فقد ذم اللَّه سبحانه وتعالى الكاذب على اللَّه والمكذب بالصدق، وهذا ذمٌّ عام.

وإن كثيـراً من الشر - أو أكثره - يقع من أحد هذين، فـقد تجد الرجل أو الطائفة لا تكذب فيما تخبـر به من العلم (فتجيء بالصدق) ولكن لا تقبل ما تجيء به الطائفة الأخرى من الحق، فلا يكون لها نصيب من قوله: ﴿**وَصَدَّقَ بِهِ**﴾، ومن الناس من لا يجيء بـالصدق ولا يصـدق به، وهؤلاء شـر الطوائف، والرافضة من أحق الناس بهذين الوصفين: فهم يكذبون على اللَّه، ويكذِّبون بالصدق.

وفي المقابل: أهل السنة والجـماعة، فـإنهم يصدقون ويصـدِّقون بالحق في كل ما جاء به، ليس لهم هوىً إلا مع الحق.

[٩] أئمتهم خيارهم: أهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام في الملل، وقد قال الشعبي ـ رحمه اللَّه ـ: «كل أمة علماؤهم شرارهم إلا المسلمين فإن علماءهم خيارهم»، فأئمة أهل السنة هم خيار الأمة، وأئمة أهل البدع هم شرار الأمة، ومن سلم منهم من ذلك كان من أئمة المتقين، مصابيح الهدى، وينابيع العلم.

[١٠] أصولهم موروثة وليست منتحلة: أئمة السنة ليسوا مثل أئمة البدعة؛ فإن أئمة السنة تضاف السنة إليهم؛ لأنهم مظاهر بهم ظهرت، وأئمة البدعة تضاف إليهم البدعة؛ لأنهم مصادر عنهم صدرت.

[١١] معتدلون في الحكم على الناس: من أصول أهل السنة التي فارقوا بها الخوارج أن الشخص الواحد يجتمع فيه حسنات وسيئات، فيثاب على حسناته، ويعاقب على سيئاته، ويُحمد على حسناته، ويُذم على سيئاته، وأنه من وجه مرضيٌّ محبوب، ومن وجه بغيض مسخوط، فأهل السنة لا يكفرون أهل القبلة بمجرد الذنوب ولا بمجرد الخطأ في الاجتهاد، بل من اجتمع فيه حسنات وسيئات فأمره إلى اللَّه.

[١٢] يُؤثرون الشرع على الطبع، ولا يتبعون في دينهم الهوى: وأهل البدع بالعكس: فالمرجئة يغلِّبون هواهم لميلهم إلى اللين، والخوارج يغلبوهم هواهم وطبعهم لما فيهم من الشدة، والقدرية فيهم نوع انفلات وميل إلى التحرر، والشيعة في طبعهم غُلُوٌّ وتقديس للرجال، والصوفية المبتدعة يصرحون بتقديم الذوق على الشرع وما الذوق إلا هوى النفس وميلها..

---

(١) أورد هذه القصة الشيخ أحمد فريد في «خصائص أهل السنة» (ص٤٧) نقلاً عن «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (ص٣١١).

وهكذا تجد كل فرقة اتبعت ما يميل إليه هواها فآثرت الهوى على الشرع، وأما . أهل السنة فَيُرَوِّضون أنفسهم، ويهذبون طباعهم حتى توافق الحق الذي أنزله اللَّه دون إفراط أو تفريط.

[١٣] هم الأكثرون الغالبون وإن كانوا أقلِّين مستضعفين: قال تعالى: ﴿**وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٩]، فجعل إيمانهم شرط علُوهم ولم يقل: إن كنتم الأكثرين أو غير ذلك، وذلك بمقتضى الحق الذي في قلوبهم، فقد قيل للإمام أحمد بن حنبل أيام ظهور المعتزلة على أهل السنة واقتناع السلاطين بآرائهم، وإجبار الناس على القول بخلق القرآن ـ قيل له: يا أبا عبد اللَّه، ألا ترى الحق كيف ظهر عليه الباطل؟! فقال: «كلا، إن ظهور الباطل على الحق أن تنتقل القلوب من الهدى إلى الضلالة، وقلوبنا بعدُ لازمة للحق»[١] رحم اللَّه تلك الجبال الرواسي.



(٣)

أصول أهل السنة ثلاثة:

الكتاب، والسنة، وسبيل السلف

من أعظم ما يميز أهل السنة من أهل البدع أن لهم أصلاً أصيلاً ثابتًا بعد الأصلين العظيمين: الكتاب والسنة، وهو إجماع السلف وفهمهم للكتاب والسنة ﷺ، فإن الأصول الثلاثة: الكتاب المنزل، والنبي المرسل، وسبيل السلف، فمن الناس من يعرض عن الأصول الثلاثة، وهو من شرار الخلق، ومنهم من يقف عند حدود الكتاب ويُعرض عن السنة، وهؤلاء ضالون، ومنهم من يأخذ بالكتاب والسنة ولكنه يفسدهما بالفهم القاصر وتحريف النصوص بالتأويلات الفاسدة.

والسالم الناجي من كل هؤلاء من يأتي النهر من مجراه، ويسلك إلى الأمر سبيله، وإن أعظم سبيل إلى الدين المصفَّى هم السلف ولا سبيل إلا سبيلهم، فهم الوارثون لعلم النبوة، الذين عاينوا التنزيل، وفقهوا الوَحْيين، وشهد لهم اللَّه ورسوله ﷺ بالخيرية المطلقة في الاعتقاد والعلم والعمل: فقد قال سبحانه: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ..** ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فأثنى اللَّه سبحانه على من تبعهم بإحسان، وجعل اتباعهم سبيل الرضى والفوز بالجنة، وقال ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**» متفق عليه.

وقد قال الإمام الشافعي - رحمه اللَّه -: «هم فوقنا في كل علم وعقل

ودين وفضل، وكل سبب ينال به علم أو يدرك به هدى، ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا».

وقال الإمام أحمد ـ رحمه اللَّه ـ: «أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ: «من طريقة أهل السنة والجماعة: اتباع آثار الرسول ﷺ باطنًا وظاهرًا، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار».

وإليك طائفة من غُرر كلامه ـ رحمه اللَّه ـ تجلو هذا الأصل بأروع بيان، وتدفع عنه الريب بأوضح برهان، كيف لا وهو ممن بعث اللَّه به منهج السلف بعد طول رقاد، وقمع به أعداء السلف بعد أن طغوا في البلاد[1] يقول ـ رحمه اللَّه ـ:

- «كل قول قيل في دين الإسلام مخالف لما مضى عليه الصحابة والتابعون، لم يقله أحد منهم، بل قالوا خلافه ـ فإنه قول باطل»[2].

- «.. فمن اتبع السابقين الأولين كان منهم، وهم خير الناس بعد الأنبياء، فإن أمة محمد خير أمة أخرجت للناس، وأولئك خير أمة

---

(١) عندما ظهر شيخ الإسلام وجد أتباع المذاهب الباطلة كلهم يدَّعون التمسك بالسنة، حيث يؤولونها كل بما يوافق هواه، فنهض ينصر منهج السلف، وجعله الفرقان بين الحق والباطل في فهم نصوص الكتاب والسنة، إذ هو من أعظم أصول الاعتصام، بل هو شرط لا بد منه، لأن كل فهم للكتاب والسنة خارج عما أجمع عليه السلف فهو باطل لا محالة، ولذا عنيت هنا بتتبع كلامه في هذا الأصل الجليل الذي أخل به الأكثرون إلا من رحم اللَّه، وما أكثر ما أشار إلى ذلك الإمام السلفي الجليل العلامة الألباني ـ رحمه اللَّه.

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٥/ ٢٦٣).

محمد»[١].

• «اتفق المسلمون على أن أصحاب رسول الله ﷺ خير طباق الأمة»[٢].

• «النزاع الحادث بعد إجماع السلف خطأ قطعًا: كخلاف الخوارج، والرافضة، والقدرية، والمرجئة»[٣].

• «للصحابة فهم في القرآن يخفى على أكثر المتأخرين، كما أن لهم معرفة بأمور من السنة وأحوال الرسول لا يعرفها أكثر المتأخرين»[٤].

• «.. فلم يبق مسألة في الدين إلا وقد تكلم فيها السلف»[٥].

• «.. وكما أنه لم يكن في القرون أكمل من قرن الصحابة، فليس في الطوائف بعدهم أكمل من أتباعهم، فكل من كان للحديث والسنة وآثار الصحابة أتبع كان أكمل»[٦].

• «ونحن لا نعني بأهل الحديث: المقتصرين على سماعه أو كتابته أو روايته، بل نعني بهم: كل من كان أحق بحفظه ومعرفته وفهمه ظاهراً وباطنًا، واتباعه باطنًا وظاهراً، وكذلك أهل القرآن»[٧].

• «وأهل العلم.. يقولون: هم «الأبدال»[٨]، لأنهم أبدال الأنبياء، وقائمون مقامهم على الحقيقة»[٩].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٢٤).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ٣٢٩).
(٣) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٢٦).
(٤) «مجموع الفتاوى» (١٩/ ٢٠٠).
(٥) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٢٧).
(٦) «منهاج السنة النبوية» (٦/ ٣٦٨).
(٧) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٩٥).
(٨) يعني: أهل الحديث.
(٩) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٩٧).

- «وكانوا يقولون: هم «الطائفة المنصورة»[١] إلى قيام الساعة، الظاهرون على الحق، لأن الهدى ودين الحق الذي بعث اللّٰه به رسله ـ معهم»[٢] .

* * *

(١) يعني: أهل الحديث.

(٢) الموضع السابق نفسه.

(٤)

الصحابة رضي الله عنهم بين أهل السنة والشيعة

[١] عقيدة أهل السنة في الصحابة بإجمال:

يقول الإمام الطحاوي ـ رحمه اللَّه ـ مبينًا عقيدة أهل السنة في الصحابة ﷺ: «ونحب أصحاب رسول اللَّه ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

ونثبت الخلافة بعد رسول اللَّه ﷺ أولاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، تفضيلاً له وتقديمًا على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم لعثمان رضي الله عنه، ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه. وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون»[١] .

وجاء في «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام أن أهل السنة: «يحبون أهل بيت رسول اللَّه ﷺ ويتولونهم»[٢] .

وأنهم «يتولون أزواج رسول اللَّه ﷺ أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة»[٣] .

---

(١) «شرح الطحاوية» (٤٦٧ ـ ٤٨٤) المتن.

(٢) «شرح العقيدة الواسطية» للشيخ هراس (ص١٢٠).

(٣) المصدر نفسه (ص١٢١).

وأنهم «يتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة، ويسبونهم، وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، ويُمسكون عما شجر بين الصحابة.

ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كاذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم»[1] .

[٢] كلمة عن الشيعة المعادين للصحابة:

«الشيعة يخالفون المسلمين في أمور مهمة:

١ ـ **القرآن**: يعتقدون زيادته ونقصانه، وتحريف بعض سوره وآياته.

٢ ـ **الحديث النبوي**: لا يأخذون بما جاء في «البخاري» و«مسلم» وغيرهما.

٣ ـ **التوحيد**: يدعون غير اللَّه، وينذرون ويذبحون لغير اللَّه، ويزعمون أن هناك قدرة خاصة للأولياء والأقطاب وآل البيت يدبرون الكون، والصوفية أخذوا عنهم هذه الاعتقادات الباطلة.

٤ ـ **علم الغيب**: يزعمون أن معرفة الغيب من حق أئمتهم المعصومين،

---

(١) المصدر نفسه (ص١٢٢).

وليس من حق النبي ﷺ أن يخبر عن الغيب، وأن إمامهم سيخرج من السرداب، يذبح جميع خصومه من السياسيين، ويعيد إلى الشيعة حقوقهم المغتصبة.

٥ ـ **الشريعة والحقيقة:** يرون أن الشريعة هي الأحكام التي جاء بها النبي ﷺ، وتهم العوام، أما الحقيقة والعلم الخاص عن اللَّه فلا يعلمه إلا أئمة أهل البيت، وأن الصلة باللَّه لا تتم إلا عن طريق الوسائط من أئمتهم، وتسربت هذه الأفكار الخطيرة إلى الصوفية مع الأسف الشديد.

٦ ـ **سب الصحابة:** يلعنون أبا بكر وعمر وغيرهما، وقد بشرهم النبي ﷺ بالجنة.

٧ ـ **الخلافة:** يرون أنها لعلي، فمن أخذها فهو ظالم أو كافر.

٨ ـ **الطعن:** يتهمون عائشة بالزنا، وقد برأها اللَّه في القرآن.

٩ ـ **العبادات:** يخالفون المسلمين في الأذان، وكيفية الصلاة وأوقاتها.

١٠ ـ **التَّقِيَّة:** يُخفي الشيعة عقيدتهم أحيانًا خوفًا من الناس.

(انظر الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب)(١).

[٣] «علماء السلف» عند أهل السنة(*):

علماء السلف هم الوارثون لعلم النبوة وهم خلفاء الصحابة، بل إن الصحابة هم سادة علماء السلف إذا عممنا القول. يقول الإمام الطحاوي في بيان فضيلة علماء السلف ﷺ:

---

(١) «العقيدة الصحيحة» للشيخ محمد بن جميل زينو وفقه اللَّه (ص١١١).

(*) وقد ذكرتهم هنا عقب الصحابة تأسيًا بالإمام الطحاوي ـ رحمه اللَّه ـ ولأنهم أولى الناس بالموالاة بعد الصحابة.

«وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين، أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يُذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل»(١) .

[٤] كرامات الأولياء بين أهل السنة وأهل البدع(*):

يقول الإمام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ: «ومن أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء وما يُجري اللَّه على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات، والمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر فرق الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة»(٢) .

هذا، وما من وليٍّ يبلغ مقام نبي، وقد قيل: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء، وهذا خلافًا لما وقع فيه منحرفو الشيعة وضُلال الصوفية.

* * *

(١) «شرح الطحاوية» (ص٤٩١).

(*) وقد ذكرت كرامات الأولياء ضمن الكلام في الصحابة لأنهم سادة الأولياء ﷺ، وقد تأسيت في ذلك بالإمام الطحاوي والإمام ابن تيمية ـ رحمهما اللَّه ـ حيث أورد الكلام عن كرامات الأولياء عقب الكلام في الصحابة ﷺ.
وقد سبق بيان معنى الكرامة والفرق بينها وبين المعجزة آخر الكلام في الرسل.

(٢) «شرح الواسطية» (ص١٢٤، ١٢٥).

(٥)

الجماعة والفرقة

في معتقد أهل السنة(*)

من أجل أصول أهل السنة وجميل خصالهم التي فارقوا بها أهل البدع أنهم يرون «الجماعة حقًّا وصوابًا والفرقة زيغًا وضلالاً»[1]، ولهذا سُمُّوا «أهل السنة والجماعة». قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] والنصوص في بيان هذا الأصل كتابًا وسنة كثيرة جدًا.

والبدعة مقرونة بالفرقة كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال: «أهل السنة والجماعة» كما يقال: «أهل البدعة والفرقة»، ولهذا كان أهل الخلاف المطلق كلهم مذمومين في الكتاب والسنة، ولهذا أمرت الرسل أن تدعو إلى دين واحد هو الإسلام، وألا يتفرقوا فيه، ولهذا أيضًا كان الأصل الثالث بعد الكتاب والسنة الذي يجب العمل به هو «الإجماع».

ومن دقائق هذا الباب أنه يجوز ترك الأفضل من أجل اجتماع الكلمة وتأليف القلوب، كما ترك ﷺ بناء الكعبة على قواعد إبراهيم لكون قريش حديثي عهد بكفرٍ، لئلا ينفرهم بذلك[2].

ونتيجة الجماعة: رحمة اللَّه ورضوانه وصلواته، وسعادة الدنيا والآخرة وبياض الوجوه.

(*) مختصر أكثره من قاعدة «الجماعة والفرقة» لابن تيمية، وهي إحدى القواعد التي تضمنها مشروع «التقريب والتهذيب» الذي سبق الإشارة إليه.

(١) «شرح الطحاوية» (٥١٢) نص كلام الطحاوي.

(٢) ورد ذلك في البخاري (١٥٨٥)، ومسلم (١٣٣٣).

ونتيجة الفُرقة: عذاب اللَّه وسواد الوجوه، وبراءة الرسول ﷺ منهم.

أنواع الاختلاف والفرقة:

(١) الاختلاف الوارد في القرآن قسمان:

أحدهما: مُطلق، وهو أن يذم اللَّه الطائفتين جميعًا كما في قوله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون:٥٣]، وخلاف أهل الكتاب هو من هذا النوع: يختلف اليهود والنصارى وكلاهما مخالف للحق، وكذلك أهل البدع: يخالف الشيعي الخارجي وكلاهما مبطل.. وهكذا.

والآخر: مُقَيَّد، وهو ما حمد فيه إحدى الطائفتين، وهم المؤمنون: كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ [البقرة:٢٥٣].

(٢) وينقسم الاختلاف أيضًا إلى: اختلاف تنوع واختلاف تضاد:

فاختلاف التنوع: هو أن يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقًّا مشروعًا كاختلاف الأنواع في صفة الأذان، والإقامة، والاستفتاح، والتشهدات، وغير ذلك مما شُرِع جميعه، وإن كان قد يقال: بعض أنواعه أفضل.

ومن هذا النوع ما يكون كل من القولين في معنى الآخر لكن العبارتان مختلفتان، ولكن الجهل والظلم هو الذي يحمل الناس على حمد إحداهما وذم الأخرى.

ومنه ما يكون المعنيان متغايرين ولكن لا يتنافيان، فكل منهما صحيح، وإن لم يكن معناهما واحدًا، وهذا كثير جدًّا في المنازعات.

ومنه ما يكون طريقتين مشروعتين، ولكن كل من الطائفتين قد سلك طريقًا، وكلاهما حسن في الدين، والجهل والظلم هم اللذان يحملان على المشاقَّة بينهما بلا علم، أو بلا نية.

وأما اختلاف التضاد: فهو القولان المتنافيان إما في الأصول وإما في الفروع، فهذا الخطب فيه أشد؛ لأن القولين متنافيان.

ولكن نجد كثيراً من أصحاب هذا النوع يكون الباطل الذي مع منازعه فيه حقٌّ ما، فتراه يرد الباطل والحق جميعًا فيقع هو أيضًا في الباطل بحسب ما رده من الحق، وهذا ظاهر في أهل البدع جداً، وإن كان يقع من بعض أهل السنة، وكذلك يقع كثيراً بين الفقهاء والصوفية وغيرهم. ولهذا جاءت السنة بالنهي عن ذلك.

(٣) الاختلاف في التنزيل والاختلاف في التأويل:

الاختلاف في التنزيل: هو الاختلاف في الألفاظ والحروف كالاختلاف في قراءة آية.

والاختلاف في التأويل: هو الاختلاف في المعاني، وهو الأخطر والأكثر والأدهى والأمر.

وكلاهما نهى عنه النبي ﷺ.

(٤) الاختلاف القولي والعملي:

أما القولي: فهو الاختلاف باللسان والقول، ويدخل فيه من يتكلمون في العلم، ولا يدعون إلى قول ابتدعوه، ولا يحاربون عليه من خالفهم، وهؤلاء هم أهل العلم، ويدخل فيه أيضًا كثير من أهل البدع لكون كثير من خلافهم هو قوليٌّ في الغالب إلا إنه يتضمن بغيًا وعدوانًا.

وأما الاختلاف العملي: فهو ما يكون فيه محاربة باللسان وباليد، ويدخل فيه المتقاتلون على محض الدنيا كالملوك ونحوهم، كما يدخل فيه كثير من أهل البدع الذين يحاربون من خالفهم باليد والسيف والعصا والسوط، كالخوارج والشيعة والمعتزلة، وهؤلاء لهم نصيب أيضًا في النوع الأول وهو الخلاف القولي.

* * *

(٦)

فرقان نافع
بين أهل الحق وأهل الباطل

كثير من علمـاء أهل السنة والجماعة قد يستهـين بهم من لا يعرفهم، فلا يقـدرهم قدرهم، كـما أن أهـل البدع قـد يزخرف الشـيطان باطلهم حـتى يعظمهم النـاس ويتبعـوهم، فلا بد من البحث عن الحـقائق وعدم الاغـترار بالظواهر.

فإن أهل السنة عند من أوتي البـصيرة في دينه وانكشف عن قلبـه الغشاوة هم المكثرون وإن بدا أنهم مقتصدون، والواصلون وإن ظُن أنهم مبطئون: فهم كما قيل:

يا عجبًا من سيرك المدلَّلِ   تمشي رويدًا وتجي في الأول

وما سرعة وصولهم مع قلة جهدهم إلا ببركة اتباعهم للحق، وبنور الشرع الصحيح الذي في قلوبهم، ولذا كثيرًا ما يُخدع الجهال فيهم.

وأما أهل الضلال فبالعكس، كثيرًا ما يزين الشيطان ظاهرهم للناس ليُفتنوا بهم، وليجتمعوا عليهم، ويتشربوا بدعتهم، وفي تاريخ الفرق الضالة عجائب من هذه الأوصاف:

ـ فـقد رأينـا الخوارج رجـالاً يحـقر المسـلمون صـلاتهم إلى صـلاتهم، وصيامهم إلى صـيامهم، مع أنهم يخرجون من الدين كمـا يخرج السهم من الرَّمِيَّة كما ورد في الأحاديث الصحاح، والصـوفية لهم سَمت في العبادة قد يناسب هوى كـثيـر من الناس وإن خالـف الشرع، وكـذلك في المعتـزلة من

يُضرب به المثل في العبادة كعمرو بن عبيد رأس المعتزلة، وقد كان محمد بن كرَّام يوصف بأنه زاهد عابد رباني مع أنه مبتدع وشيخ فرقة من الضُّلال تسمى الكرامية. هذا في العبادة.

ـ وفي الذكاء والفطنة وقوة الحجة: قد يحسب من لا علم عنده برسوخ علم السلف أن المعتزلة وأهل الكلام وأصحاب الرأي قد بلغوا الغاية في هذا الباب لكثرة تهويلهم وإشاعتهم أنهم أصحاب الحجة وأرباب العقول الصحيحة، مع أنهم عند المستبصر متهوكون متحيرون متناقضون مضطربون.

ـ وفي الجهاد وبذل النفس قد يُخدع الجاهل بحال الخوارج والشيعة عظم تفانيهم في نُصرة ما هم عليه، وإقبالهم على الموت في سبيل معتقداتهم الفاسدة.

ـ وفي الفصاحة والخطابة والموعظة: كان الخوارج وطوائف من المعتزلة والصوفية من فرسان هذا الميدان وأئمته، فلسانهم عذب طلق، وبيانهم ساحر آخذ بمجامع القلوب، ويطول المقام في تتبع هذه الصور التي يُخدع بها الجاهل، ويُغَرُّ بها القاصر! بل في عصرنا هذا ـ كما في كل عصر ـ نماذج من ذلك، فقد نرى المخالف لمنهج أهل السنة الخارج عن طريقة السلف عليه سيما الصلاح، وفي كلامه نبرة الصدق، وهو جريء الجنان، طلق اللسان، فصيح المنطق، عذب البيان، ما أهون ما يستدرُّ الدموع، وما أيسر ما يحرك القلوب.. ثم هو قليل البضاعة من العلم النافع، خِلوٌ من المعرفة بأصول الدين، فيه من الهوى الخفي ما لا يدركه إلا ذوو البصائر والنُّهى، يوافقه العامة والدهماء، ويخالفه الراسخون من العلماء. فأي فتنة على العامة أعظم من فتنة هذا الصنف؟!

فـإذا رأوه يجاهر بمخـالفـة السلطان دون هيبـة، ورأوا علمـاء أهل السنة يتريثون ويحتـاطون حقنًا لدماء الأمة، وأخذًا بسنة الصبر وقت الاسـتضعاف كما علمهم النبي ﷺ ـ قالوا: هذا هو العالم الذي لا يخاف في اللَّه لومة لائم، وساروا مـعه إلى طريق مـصادمـة الحكام، حتى تقع الفـتن والدماء، ويتفرق الجمع، ويُفتن من يفتن تحتْ وطأة الحماسة الطاغـية والعاطفة العمياء التي لم تأخـذ بأسبـاب النصر، ولـم تقـدر للأمور قـدرها، ولم تجد للصـبر والحكمة موضعًا.

وإذا رأت العامة مثل هذا الصنف كثير البكاء، حاضر القلب، مؤثرًا مبكيًا قالوا: هذا هو العالم، فإن العالم هو من يخشى اللَّه، فيزداد بلاؤهم وفتنتهم به، مع أن الصوفـية كانوا أكـثر منه تأثيرًا، والخـوارج كانوا أكثـر منه صلاة وعبادة وإثارة للقلوب.

وإذا رأوه طلق اللسان فصيح المنطق حـسبوا أن كلامه هو الحق المبين، لأن من البيان سحرًا، هذا مع كونه لا يقيم حجـة شرعية صحيحة، ولكنه اللعب بالكلام أو التدليس، ولقد كـان في الخوارج وغيرهم أئمة الخطابة والفـصاحة والبيان، ومع ذلك كـانوا أقل الناس علمًا، وأسرعهم ضـلالاً، لقلة اتباعهم لطريق السلف[١] .

وهذا واقعٌ قديمٌ جديدٌ، فليحذر امرؤٌ لنفسه، وليتق اللَّه ربه، وليتحر الحق وحده، ولا يقبل شيـئًا لجمال ظاهره، ولا يرد شيئًا لغـبرة عليه، فكم يلبس الحق ثوب الباطل، وكم يلبس الباطل ثوب الحق، فـالحق علامة على الرجال

---

(١) ومن أقوى الأمثلة على ذلك: شكري مصطفى إمام «التكفير والهجرة». راجع شيئًا من ذلك في كتاب «إعلان النكير على غلاة التكفير» للشيخ أحمد بن أبي العينين (ص٣٥) وما بعدها.

وليس الرجال علامة على الحق، ومن يتحرَّ الخير يعطه، ومن يتوقَّ الشر يُوقَّه.

هذا ومما يجب أن يعلم أن كل الخصال السابقة من الفصاحة والجهاد وحضور القلب وكثرة العبادة وهي التي زينت للناس طريق أهل الابتداع - لم يكن السلف عاطلين منها، بل كانوا أحق بها وأهلها، ولكن كما قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا**﴾ [الأنعام: ١١٢].

فكل قول خالف الحق يزخرف كما قال شيخ الإسلام في هذه الآية لتحصل الفتنة به، والحق قد تعتريه غشاوة أو يلتبس أمره ولكنه لا يُطمس تمامًا.

ورضي اللَّه عن عمر المحدَّث الملهم حيث قال: «إن هذا الحق ثقيل مريء، وإن هذا الباطل خفيف وبيء»، فالحق قد يثقل على النفس لقلة الزخرف ولكنه مريء نافع، والباطل قد يكون أقرب وأخف، ولكنه وبيء ممرض.

ويطول المقام جدًّا لو مضينا نتتبع سِيَرَ أئمة السنة المجانبين لطريق أهل البدع، وما تحلَّوا به من خصال الخير تلك، ولنقف عند مثلين اثنين لقصر المقام: أحدهما: الإمام أحمد بن حنبل وكيف ابتُلي فصبر ولم يخف في اللَّه أحدًا حتى إنه في محنة خلق القرآن التي نصر فيها قول أهل السنة لم يخضع ولم يضعف برغم أنه تتابع على تعذيبه ثلاثة خلفاء، وقيل: إنه ضرب ثلاثمائة سوط فلم يرجع عن الحق.

هذا في الجهاد والصبر، وأما في العبادة فكان مضرب المثل فيها، مع العلم النافع، والاعتقاد الصحيح، وإمامة المسلمين، ونشر عقيدة أهل السنة

والجماعة.

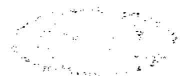
وأما الآخر: فهو عبد اللَّه بن المبارك، الإمام الرباني الذي كان من أكبر عُبَّاد زمانه ومن أكبر مجاهديهم، حتى قيل: إنه كان يحج عامًا ويجاهد عامًا، كما أنه مع جهاده وعبادته كان من المنفقين الأسخياء، وقد كان ينفق على الإمام الفضيل بن عياض، هذا مع كونه عَلَم السنة في زمانه علمًا وعملاً واعتقادًا وفقهًا.

والأمثلة لا تحصى فيما كان عليه السلف من خصال الخير هذه، فهي فيهم عن استحقاق وتوفيق، وإن وجد شيء منها في أهل البدع فهو إما دعوى، أو تكلف، أو ابتلاء يُبتلى به الناس. والعصمة من اللَّه وحده.

وصلى اللَّه على محمد وآله وصحبه

ونسأله العفو والعافية، والتوفيق والقبول والمغفرة

* * *



• فهرس الموضوعات •

* * *



سيصدر قريباً إن شاء الله تعالى ...

بالمكتبة الإسلاميـــــة

مختصر
مخالفات الطهارة والصلاة
وبعض مخالفات المساجد

جمعها

الشيخ عبد العزيز بن محمد بن عبد الله السدحان

اختصرها

عبد الله بن يوسف العجلان

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

ويليـــه

صفة صلاة النبي ﷺ

لابن بـــاز

رحمه الله

